مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام

إبريل ٢٠٢٥

دخول المسيح أورشليم

دخل الربُّ يسوع أورشليم كملك وديع جالسًا على جحش، «وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ» (يو ١٣: ١)، «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ، فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (مر ١٠: ٣٣ – ٣٤). أمّا عرشه الملوكي الذي مَلَكَ من فوقه على قلوب المؤمنين به، فهو الصليب الذي فدى به العالم من موت الخطية.

(أيقونة ترجع إلى سنة ١٦١٨م من متحف بسكوف)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٩ أبريل ٢٠٢٥م.

العدد ٦٦٣ برمهات / برموده ١٧٤١ش.

المحتويات

تهنئة بعيد القيامة المجيد لعام ٢٠٢٥م ١

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ»................................ ٢

مقال للأب متى المسكين: ”أوصنّا“ ٧

من أقوال الآباء: انظري جروجي ١١

بمناسبة أسبوع الآلام:

دموعٌ في طريق الحبِّ الإلهي ١٥

بمناسبة خميس العهد: معجزة الإفخارستيَّا ٢٢

بمناسبة الجمعة العظيمة: موت المسيح على الصليب ٢٩

تأملات في تدبير الخلاص:

قصة ”عماليق“ وتدبير الخلاص ٣٤

ادخل إلى العمق (٥١): «مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ» ... ٤٠

من التراث الكنسي: معرفة الله (١٨) ٤٤

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس القدِّيس أبي السيفين في مصر (٢) ٤٩

تقديم كتاب: المسيحيُّون العرب سيرة ومسيرة ٥٤

حول العالم: أخبار متنوعة ٥٧

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 52 - 53 .... ٦٤

من تعليم آباء الكنيسة — للعلَّامة أوريجانوس

فلنحترس لئلَّا نُكلِّل يسوع بأشواكنا

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

✿✞✿

[إنَّ الخطايا ضدَّ يسوع (مُسجَّلة) في الإنجيل،
للتَّنديد بالذين يقترفونها ...
ولذلك فاستهزاء الذين كلَّلوه بالشَّوك،
والأمور المُماثلة قد أُدرِجَت في الأناجيل.
مِن ثَمَّ ينبغي أن نعتبر أنَّ كلَّ مَنْ يخون تلاميذ يسوع
إنما يُحسَب خائنًا ليسوع.
لذلك فقد قال لشاول وهو لا يزال مُضطهِدًا:
«شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟...
أنا يسوع الذي أنت تضطهده» (أع٩: ٤ و٥).
لكن مَنْ هم الذين عندهم أشواكٌ
يُكلِّلون بها يسوع ويُهينونه؟
إنهم الذين بعد أن يأخذوا كلمة الله،
«يَخْتَنِقُونَ مِنْ هُمُومِ الْحَيَاةِ وَغِنَاهَا وَلَذَّاتِهَا،
وَلَا يُنْضِجُونَ ثَمَرًا» (لو ٨: ١٤).
من أجل هذا، يلزم أن نحترس لئلا نكون نحن أيضًا،
كأننا نُكلِّل يسوع بأشواكنا الخاصَّة،
وبعد أن يتمَّ تسجيلنا بهذه الصفة،
يَقرأ عنَّا هكذا جميعُ الروحيِّين والقدِّيسين،
الذين يتعرَّفون على يسوع – وهو كائن في الكلِّ وبالكلِّ –
إمَّا وهو يُمسح بالطِّيب ويُدعَى للعشاء ويُمجَّد،
أو على النقيض، وهو يُهان ويُستَهزَأ به ويُضرَب].
(شرح إنجيل يوحنا، الكتاب الأوَّل: ٦٩ - ٧٣)

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد
أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة ١٧ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
١٧٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
٢٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)
١١٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
يُسدَّد عن طريق موقع الدير على الإنترنت
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

تهنئة بعيد القيامة المجيد لعام ٢٠٢٥م

يتقدَّم مجمع رهبان دير القدِّيس أنبا مقار ببريَّة شيهيت

وأسرة تحرير مجلة مرقس

بخالص التهنئة إلى

صاحب القداسة والغبطة البابا أنبا تواضروس الثاني

بمناسبة حلول عيد قيامة مُخلِّصنا الصالح

وندعو إلهنا الصالح أن يُديم رئاسته للكنيسة

سنين عديدة وأزمنة سلاميَّة مديدة

كما نتقدَّم بالتهنئة إلى أصحاب النيافة آبائنا المطارنة والأساقفة الأجلَّاء

وجميع الإكليروس وشعب الكنيسة المقدَّسة

في بلادنا العزيزة وكلِّ بلاد المهجر

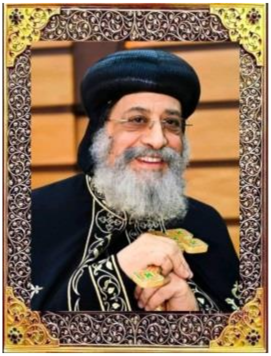

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

«اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ»

(١تس ٥: ١٨)

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

✠✝✠

«اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١تس ٥: ١٨). موضوع الشكر من الموضوعات المُرتبطة بحياة الإنسان ووجوده، وكأن الإنسان غير الشاكر هو إنسانٌ غير موجود، بمعنى أنَّه لا يشعر بإنسانيته. وكنيستنا تُعلِّمنا أنَّه في بداية أيِّ صلاة يجب أن نتلو ثلاثة أجزاء أساسيَّة نُسمِّيها "لباس الصلاة".

فنبدأ بصلاة "أبانا الذي في السموات ..."، وتُسمَّى "ثوب الصلاة"؛ ثم يليها "صلاة الشكر" وتُسمَّى "المنطقة" (حزام يدور حول الوسط)، وفي هذا إشارة إلى أنَّ الشكر يجب أن يشمل حياتنا كلها؛ ثم نُصلِّي الجزء الثالث "المزمور الخمسين"، وهو مزمور التوبة الذي يُمثِّل "الحذاء"، لأن الإنسان التائب خطيئته تكون مثل الشوك المُنتشر في الأرض، فلا يستطيع السَّير عليه بدون حذاء، وهذا يُذكِّرنا بقصة "الابن الضال"، وكيف أنَّ أباه قدَّم له حذاءً بعد توبته ورجوعه إلى بيته، فقال الأب لعبيده: «أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ» (لو ١٥: ٢٢).

١. اشكر الله على كونك إنسانًا:

اشكر الله على كونك إنسانًا موجودًا، فوجودك هو فضلٌ من الله وهبة منه، فوجودنا أُعطِيَ لنا مجَّانًا بدون مقابل. فمَنْ مِنَّا دفع شيئًا مقابل وجوده؟ ما هو الثمن الذي دفعناه؟ لا شيء! وهذا ما نُسمّيه "نعمة"، فالنعمة هبةٌ مجَّانية.

وهناك سؤال يتردَّد دائمًا: لماذا خلقني الله؟ وإجابة هذا السؤال: لأن الله يحبُّني. ويمكن تشبيه هذا الأمر، بفنانٍ في ذهنه لوحة جميلة يُريد أن يرسمها، فأحضر اللوحة والألوان والفرشاة، وبدأ يضع بعض الخطوط لرسم هذه اللوحة، واستمرَّ في العمل حتى

أكمل هذه اللوحة البديعة التي تنبهر وتندهش من روعتها. لذلك اشكر الله: لأنه أوجدك وأعطاك الحياة والعقل والفكر والعمل والحرية والإبداع.

٢. اشكر الله لأنك جئتَ في هذا الزمان:

بِغَضِّ النظر عن سلبيات هذا الزمن، لكن أقول لك: اشكر الله على إيجابيات هذا الزمان التي تتمتع بها:

● يوجد كثيرٌ من الاختراعات والابتكارات، والتقدُّم في وسائل المواصلات والاتِّصالات. فأنت تستطيع أن تصل لأيِّ مكان في زمنٍ قصير. فمثلًا الأديرة التي كانت لا أحد يستطيع أن يصل إليها إلَّا بالجِمَال، تستطيع الآن في ساعةٍ أو ساعتين أن تكون في قلب الدير وتأخذ بركة رهبانه وقدِّيسيه.

● وفي هذا الزمان، توجد ثورة اتِّصالات. فأنت في عصر الراحة، تستطيع باستخدام الأجهزة الحديثة بضغطة مفتاح أن تصل للغرض المطلوب. لذلك فأنت في عصر المعرفة والمعلومات، تستطيع أن تصل للمعرفة بكلِّ أشكالها، المرئية والمسموعة والمقروءة. فتوجد ملايين المواقع على النِّت وملايين الكُتُب في كلِّ فروع العِلْم منذ القديم وحتى الآن.

● في هذا الزمان أيضًا، توجد أدوية لكثيرٍ من الأمراض، وتوجد مُسكِّنات لكثيرٍ من الآلام، ويوجد طبٌّ مُتقدِّم، وكثيرٌ من العمليات الجراحية، وعمليات المناظير المُتقدِّمة. فنحن نعيش في زمانٍ، مَنَحَ الله لنا فيه نِعَمًا كثيرة جدًّا، وهذه النِّعَم مُتعدِّدة وكثيرة.

٣. اشكر الله لأنك تعيش في هذا المكان:

● اشكر الله، لأنه أوجدك مصريًّا تعيش على أرض مصر. فقد كان من الممكن أن يوجِدك في أيِّ بلدٍ أُخرى، قد لا تعرف اسمها. فالله قد أعطاك نعمةً خاصة بانتمائك إلى أرض مصر.

● لقد اختار ربنا يسوع المسيح أرض مصر، لكي تكون البلد الوحيد التي تباركت بزيارته، واختارها الله للهروب من هيرودس الملك، فهي التي باركها الله وقال عنها الكتاب: «مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ» (إش ١٩: ٢٥)، وهذه أيضًا نعمةٌ خاصة. فلك أن تفتخر أنك مصري، وقد نشأتَ على هذه الأرض ذات التاريخ القديم والعريق.

- أيضًا مصر التي تمتَّعت بظهورات السيِّدة العذراء.

- مصر بلدٌ متديِّن، يضع الدِّين في حسبانه، فهناك بلادٌ تَعتَبِر الدِّين تخلُّفًا وكبتًا لحرية الإنسان.

- كلُّ مصري مُرتبط ارتباطًا وثيقًا بنهر النيل. فنهر النيل يبدأ من أقصى الصعيد بمجرى واحد، وعند القاهرة يتفرَّع إلى فرعين. وهذا الشكل، إن رأيته من ارتفاعٍ مثل الطائرة، تراه يُشبه رجلًا يرفع يديه للصلاة!!

٤. اشكر الله لأنك تحيا في هذا الإيمان:

اشكر الله، لأنه أعطانا نعمة الإيمان المسيحي، لكي تحيا في الإيمان المسيحي المستقيم، إيمانًا تعيش به وتحيا نفس نقاوة الإيمان الذي سلَّمه الرُّسُل للآباء. فنحن ننتمي إلى واحدةٍ من أقدم كنائس العالم.

ففي بداية تأسيس المسيحيَّة، كان يوجد أربعة كراسي رسوليَّة في العالم كله، وهي: كرسي أورشليم (أُم الكنائس)، وكرسي أنطاكية، وكرسي الإسكندرية، وكرسي روما، ثم أُضيف إليهم كرسي القسطنطينيَّة بعد ذلك. وبذلك تكون كنيسة الإسكندرية من أقدم كنائس العالم، ويمكن تسميتها حاليًا بـ "أُمِّ الكنائس". فمثلًا الكنيسة الإثيوبيَّة والكنيسة الإريتريَّة قد تكوَّنتا من خلال الكنيسة المصرية.

فالكنيسة المصرية، هي أول كنيسة في أفريقيا، وهي المسؤولة عن الخدمة بهذه القارة، وبالفعل لنا خدمات كثيرة بها، فهي كنيسة رسوليَّة أسَّسها القدِّيس مار مرقس الرسول. أيضًا كنيستنا كنيسة شهداء، فما زالت تُقدِّم شهداء حتى اليوم. وهي أيضًا كنيسة قدِّيسين، تَلِد قدِّيسين حتى يومنا هذا.

فمؤخَّرًا اعترفت كنيستنا بقداسة البابا كيرلس السادس، وبالأرشيدياكون حبيب جرجس، وتمَّ إضافة سيرتهما الطاهرة إلى سنكسار كنيستنا. وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ كنيستنا كنيسة رهبنة، فالكنيسة المصرية هي التي قدَّمت الرهبنة كهدية إلى العالم كلِّه، وأيُّ راهبٍ في العالم يعلم أن جدَّه الأكبر هو الأنبا أنطونيوس الراهب المصري. فأنت تنتمي إلى كنيسةٍ عامرة بحلول روح الله فيها وبعملها ونشاطها.

هذه هي الأربع نقاط الأساسيَّة التي يجب أن تشكر الله عليها: وهي أنَّ الله خلقك

إنسانًا، في هذا الزمان، وفي هذا المكان، وبهذا الإيمان.

ولكن، لماذا لا يشكر بعض الناس الله؟

فعلًا يوجد أشخاصٌ لا يشكرون الله، وهذه هي الأسباب:

(١) نسيان نِعَم الله:

هناك بعض الأشخاص قد ينسون نِعَم الله عليهم، وحينما ننسى أعمال الله معنا، تبرد محبَّتنا له، ويسكن عدم الشكر في قلوبنا.

مثال: شعب بني إسرائيل (سِفْر الخروج ١٥، سِفْر العدد ١٤).

الذي يتذكَّر أعمال الله السابقة معه، يقول مع داود النبي: «بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلَا تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ» (مز ١٠٣: ٢).

اذكُر أعمال الله السابقة معك، فتشكر الله ويزداد إيمانك.

(٢) تذمُّر الإنسان:

الإنسان المُتذمِّر، إنسانٌ لا يعرف الشكر، فهو دائمًا ما يكون مُتذمِّرًا على كلِّ شيء، فلا شيء يُسبِّب له الرِّضا. فهو يتذمَّر على وضعه، وعلى مكانه، وعلى زمانه، وعلى بيته، وعلى أسِرته، وعلى كلِّ شيء حوله، وعلى كلِّ شخص معه. فإذا أَخَذَ يُريد أكثر، كما إنه يحب الأَخْذ أكثر من العطاء.

قال أحد المُختبرين: "كنتُ أتذمَّر على الله دائمًا، لأنه ليس عندي حذاء، ولكني وجدتُ ذات يوم إنسانًا بلا قدمين، حينئذٍ شكرتُ الله".

إنَّ التذمُّر يُدمِّر أيَّة نعمة أعطاها لنا الله، ويُعلِّمنا الكتاب المقدَّس قائلًا: «وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ. لأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ. فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا» (١تي ٦: ٦ – ٨).

مثال: قورح وداثان وأبيرام (سِفْر العدد ١٦).

إنَّ القناعة والرِّضا دلالةٌ على الشكر، ويقول معلِّمنا بولس الرسول: «وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ. لأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ. فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا» (١تي ٦: ٦ – ٨).

(٣) المُقارنة بالآخرين:

إنَّ السبب الثالث لعدم الشكر، هو المُقارنة بالآخرين، ودائمًا ما تكون المُقارنة ظالمة، وهذا خطأٌ شائع في تربية أولادنا. فأحيانًا يُقارِن الأب أو الأُم درجات ابنهم في بعض الامتحانات ببعض أصدقائهم، فإن كان الابن قد حصل على درجاتٍ أقلَّ من زميله، ينال من أبيه كثيرًا من التوبيخ، حتى وإن كانت نتيجته مرضية؛ في حين أنَّه إذا استخدم الأب أسلوب التشجيع، فإنه سيؤدِّي إلى نتائج أفضل في الامتحانات التالية. فالمُقارنة دائمًا ما تُضيِّع الإنسان، فالله عندما خلق أصابع اليد الواحدة، لم تكن جميعها مُتشابهة. وإن حاولتَ أن تتخيَّل أنَّ جميع أصابع اليد الواحدة مُتشابهة، حجمًا ونوعًا، فإنك لن تستطيع أن تعمل بيدك أيَّ عمل. فالله قد نوَّع شكل وحجم أصابع اليد الواحدة، لكي ما يتآلفوا ويتناغموا ويتمكَّنوا من عمل كلِّ شيء.

وهذا هو جمال وروعة الاختلاف والتنوُّع الذي أراده الله للإنسان.

البابا تواضروس الثاني

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

أسبوع الآلام

”أحبَّني وأسلم نفسه من أجلي“

[وهو عبارة عن كلمات روحيَّة أُلقيت على الإخوة المُبتدئين بدير القدِّيس أنبا مقار. وإن كانت هذه الكلمات موجَّهة أصلًا للرهبان، لكنها تصلح لكلِّ قارئ. وقد أُضيفت لها بعض التأملات في أسبوع الآلام. ويحتوي الكتاب على الكلمات التالية:

المدخل إلى أسبوع الآلام – أهم المعاني الروحيَّة في أسبوع الآلام – عشيَّة أحد الشعانين – أحد الشعانين – أناجيل الساعات الأُولى من أسبوع الآلام – يوم الثلاثاء – ليلة الأربعاء – يوم الأربعاء – ليلة الخميس – يوم خميس العهد – ليلة الجمعة – يوم الجمعة العظيمة – سبت النور].

والكتاب ١٩٢ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

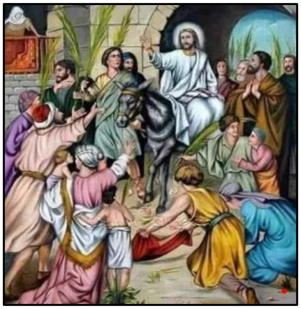

مقال للأب متى المسكين

"أوصنَّا"

"هوشعنا" أي "خلِّصنا"[1]

على قبر لعازر استُعلِن المسيح "رئيس الحياة وملك الدهور"[2]. ألم يَهْزِم آخر عدوٍّ يبطل وهو الموت!! كان هذا ختام آيات المسيح وأعماله كلها. ويا له من ختام يحمل كلَّ إشارات ومؤهِّلات المجيء الثاني!! والآن وبعد أن تَدَهَّن بالطِّيب كميتٍ وقد أقام لعازر، إذ هو القيامة ذاتها والحياة؛ فمِن المناسب جدًّا أن يُعلِن ملكوته السلامي، ويدخل مدينة أورشليم المُزيَّنة بأغصان الزيتون والنخيل. ويا له من دخولٍ يحمل كلَّ الإشارات عن أورشليم العُليا وعريسها، حيث ننتظر ظهورها واستعلان ملكوته الأبدي.

لقد وُلد المسيح كابنٍ لداود في بيت لحم مدينة داود، والآن يدخل أورشليم مدينة الملك كوريث داود الشرعي في مُلْكه النبوي السلامي.

وإن كان صوت النبوَّة قد أَعلن أنَّ مِن عَبْر الأردن جليل الأُمم (الناصرة) يُشرق نورٌ عظيم؛ يعود الصوت النبوي ليقول في موضعٍ آخر مُخاطِبًا أهل أورشليم سيِّدة المدائن داعيًا إيَّاها بابنة صهيون: «ابْتَهِجِي جدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتُفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَ ذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ» (زك ٩: ٩).

لقد رفض المسيح كلَّ أيام حياته مظاهر المجد والتكريم، وتحاشى المسير في المواكب والظهور في الأعياد رسميًّا؛ أما هنا، فلأول مرة وآخر مرة في حياته، يُرتِّب بنفسه موكب الظفر والمسيرة الرسمية للدخول إلى أورشليم كملك، حتى اندهش منه الكثيرون وضجَّ منه رؤساء الكهنة والفرِّيسيون. نعم، فقد آن الأوان فعلًا أن يعلم العالم أنه المسيَّا الملك الفادي والمُخلِّص!!

---

(١) عن كتاب: "مع المسيح في آلامه حتى الصليب"، الطبعة الثامنة: ٢٠١٩، من ص ٧٩ – ٨٥.

(٢) مطلع صلاة الصُّلح في القدَّاس الكيرلسي، وهي من الصلوات التي كان يحبُّها ويُردِّدها كثيرًا المُتنيِّح البابا كيرلس السادس.

فهذه أغصان الزيتون رمز السلام، تُشير إلى المسيَّا (شيلون) ”رجل السلام“.
وهذه أغصان النخيل، تُشير إلى أقواس ظفره الملوكي الإلهي[٣].
وهذه الأصوات: ”أوصنَّا في الأعالي“، تُشير إلى الخلاص والفداء الإلهيَّيْن.

وبهذا الموكب المُزدحم بالمعاني العميقة والأسرار، ينتهي تاريخ إسرائيل الزمني ليبدأ ملكوت المسيَّا، الذي فيه تتحقَّق النبوَّات جميعًا مع كلِّ التوقُّعات والآمال لكافة الأنبياء والرائين من قريبٍ ومن بعيد.

ولعلَّ في الهتافات التي قيلت في ذلك اليوم وسجَّلها لنا البشيرون، توضيحًا لكلِّ هذه التحقُّقات التي كملت باستعلان المسيَّا في شخص يسوع المسيح في هذه المناسبة:

+ «أُوصَنَّا (خلِّصنا) لِابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!» (مت ٢١: ٩).
+ «مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!» (مر ١١: ١٠).
+ «مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي!» (لو ١٩: ٣٨).

والعجيب أنَّ المسيح كان موافقًا على كلِّ ما كانوا يهتفون به حتى بلغ هتافهم عنان السماء، بعكس كل مواقفه السابقة التي كان يُحرِّم فيها أيَّ هُتاف له؛ بل لمَّا طالبه الفرِّيسيون أن يُسْكِت الهاتفين، قال لهم: «إِنْ سَكَتَ هؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!» (لو ١٩: ٤٠).

إذن، فكلُّ ما هتفت به الجموع، كان هتافًا نبويًّا من عمل الروح القدس الذي كان ينطق في أفواه الأطفال والرُّضَّع!!

تطهير الهيكل ومظاهر العنف:

جديدٌ علينا وغريبٌ جدًّا منظر المسيح وفي يده سوط يطرد التُّجَّار من الهيكل، ويُعنِّف مُلوِّثي الصلوات؟ ما سرُّ هذا العنف المُفاجئ؟ وهل له في النبوَّات مرجع؟

الآن، عودة إلى النبوَّات:

ففي سِفْر ملاخي يصف النبي هذا الموقف بحساسية مُرهفة:

+ «وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَ ذَا يَأْتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ؟ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لأَنَّهُ مِثْلُ

---

(٣) في سِفْر اللاويين (٢٣: ٤٠) يعملون ”المظال“ بسعف النخيل رمز الحضرة الإلهيَّة. وفي سِفْر المكابيين الأول (١٣: ٥٠ – ٥٢) ومكابيين الثاني (١٠: ١ – ٩) يُعيِّدون عيد الحرية بسعف النخيل.

نَارِ الْمُمَحِّصِ، وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ. فَيَجْلِسُ مُمَحِّصًا وَمُنَقِّيًا ... وَأَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ لِلْحُكْمِ، وَأَكُونُ شَاهِدًا سَرِيعًا عَلَى السَّحَرَةِ وَعَلَى الْفَاسِقِينَ وَعَلَى الْحَالِفِينَ زُورًا وَعَلَى السَّالِبِينَ أُجْرَةَ الأَجِيرِ، الأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ، وَمَنْ يَصُدُّ الْغَرِيبَ وَلَا يَخْشَانِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ» (ملا ٣: ١ – ٥).

ولكن لا يزال السؤال باقيًا: ما سرُّ هذا العنف الذي لم نعتده قبلًا من المسيح؟

هنا يلزمنا رجعة إلى الإنجيل. فالقدِّيس لوقا يُعطينا الجواب على هذا التساؤل، وإنما على مستوى سرِّي يحتاج منَّا إلى مزيد من الانفتاح الذهني لنُدرك الإشارات العميقة.

فقبل أن يورد القدِّيس لوقا حادثة دخول الربِّ أورشليم يوم الأحد، يورد مَثَلًا للمسيح قاله حال دخوله أورشليم، وهو له علاقة هامة جدًّا بالموضوع، ويشرح لنا أسرار ذلك اليوم الكبير. يقول الإنجيل:

+ «... فَقَالَ مَثَلًا، لأَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ أُورُشَلِيمَ، وَكَانُوا يَظُنُّونَ **أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ عَتِيدٌ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْحَالِ.** فَقَالَ: إِنْسَانٌ شَرِيفُ الْجِنْسِ ذَهَبَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ لِيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مُلْكًا وَيَرْجِعَ ... وَأَمَّا أَهْلُ مَدِينَتِهِ فَكَانُوا يُبْغِضُونَهُ، فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ سَفَارَةً قَائِلِينَ: لَا نُرِيدُ أَنَّ هذَا يَمْلِكُ عَلَيْنَا. وَلَمَّا رَجَعَ بَعْدَمَا أَخَذَ الْمُلْكَ، أَمَرَ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ أُولئِكَ الْعَبِيدُ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ الْفِضَّةَ (وحاسبهم حسب أمانتهم) ... أَمَّا أَعْدَائِي، أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي! **وَلَمَّا قَالَ هذَا تَقَدَّمَ صَاعِدًا إِلَى أُورُشَلِيمَ»** (لو ١٩: ١١ – ٢٨).

يُلاحِظ القارئ هنا قول الإنجيل: **«لأَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ أُورُشَلِيمَ».** فهذه إشارة خفيَّة تُنبِّهنا أنَّ المَثَل المذكور الذي قيل هنا، له علاقة بدخول المسيح أورشليم يوم الأحد. ثم قوله: **«وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ عَتِيدٌ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْحَالِ»،** تُعطي إشارة أنَّ المسيح سيشرح في المَثَل أن ملكوت الله لن يظهر في الحال، وفعلًا قد أوضح ذلك المسيح في المَثَل عند قوله: **«ذَهَبَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ».** كما تفيد أيضًا عبارة: «وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ عَتِيدٌ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْحَالِ»، أن طريقة دخول المسيح الهيكل يوم الأحد، سوف تشرح لنا كيفية ظهور الملكوت ومجيء المسيح في مُلكه. وهذا يظهر بوضوح أكثر بقوله في نهاية المَثَل: «وَلَمَّا قَالَ هذَا تَقَدَّمَ صَاعِدًا إِلَى أُورُشَلِيمَ». وفعلًا دخل المسيح الهيكل بهيئة ملك، وحال دخوله بدأ في الحال يُحاسب ويوبِّخ ويُعنِّف المسؤولين بسلطان، كملك، مِمَّا أذهل رؤساء

الكهنة والكَتَبَة والفرِّيسيين، ولم يدروا أنه كان يعمل عمل الديَّان.

وهنا نُلاحِظ انقسام الناس عند استقبال المسيح إلى فريقين: فريقٌ غاضب، وهم الذين يُسيئهم مجيء الربِّ الثاني، لأنه سيفضح شرَّ حياتهم، وهؤلاء كان يُمثِّلهم الفرِّيسيون؛ وفريقٌ فَرِح مُهلِّل، وهم الذين يُسرُّهم مجيء الربِّ، لأنه سيُعلِن برَّهم، وهؤلاء كان يُمثِّلهم التلاميذ والأطفال والشعب البسيط القلب.

وأمَّا طرده الذين يبيعون ويشترون وقَلْبه موائد الصَّيارفة، فكان إشارةً إلى حرمان الذين استخدموا الدِّين للتجارة والربح الزمني.

أمَّا قَلْبه كراسي باعة الحمام وطَرْدهم من الهيكل، فهو إشارةٌ إلى رَفْض الرب الذين باعوا مواهب الروح القدس (الحمام).

وأمَّا العنف الذي بَدَا على المسيح واستخدامه السَّوْط، فكان إشارةً سرِّية إلى مستوى الدينونة، الذي سيبلغ منتهى عنفه، عندما تبدأ محاكمة الشيطان علنًا هو وكل أعوانه وأتباعه الذين رفضوا أنْ يملك المسيح عليهم، عندما يطرحهم تحت قدميه، حسب قول القدِّيس لوقا. وهنا سرُّ عنف المسيح الذي ظهر في الهيكل.

✞✞✞

صلاة

يا رئيس الحياة وملك الدهور، يا مَن فديتَ من الموت نفسي، يا مَن فككتَ قيودي.
اليوم في ذكرى موكبك الصاعد إلى أورشليم، أسير نحو بيتك وأُجدِّد عهودي.
أحمل سعفي وزيتوني لأُنصِّبك مَلِكًا لحياتي، وأهتف: "أوصنًّا في الأعالي".
ليس لي أثواب زاهية أفرشها في طريقك، ولكني أطرح حياتي على عتبة بيتك.
أدخل، بالفرح، كنيستك موضع مُلْكك، وأسجد بالخوف أمام هيكلك مكان عرشك.
أُقبِّل أبوابها وأعتابها وأمسح بترابها جبيني، لعلَّك ترفع وجهي.
ربي، لا تجعل لي فيها مغنمًا ولا نصيبًا مع الذين يبيعون فيها ويشترون.
ربي، اليوم أُعاهدك: لك كلُّ حياتي، كلُّ أموالي، "أوصنًّا في الأعالي"!

من أقوال الآباء

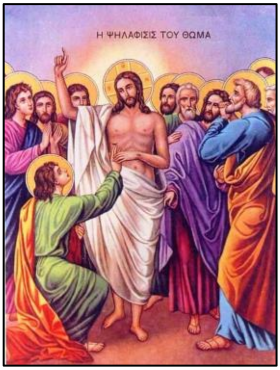

انظري جروحي[١]

العظة الثَّالثة من المجموعة الثَّالثة[٢]

للقدِّيس أنبا مقار الكبير

✠

نُصرة المسيح:

١: ١ خشبةٌ بلا سلاحٍ، وصليبٌ بلا حديدٍ، وجسدٌ مائتٌ هزموا «الشَّيطانَ وملائكتَه» (مت ٢٥: ٤١) وقتلوهُم؛ لأنَّ الأقوى قد غَلَبَ القوي (لوقا ١١: ٢١، ٢٢)، وقتله بذات «سلاحه الكامل» (لو ١١: ٢٢)[٣]. أمَّا الآن فَيأتي إلى كلِّ نفسٍ تبحث عنه بالحقِّ، ويقترب منها، ويسحق ويبيد قوَّةَ الظَّلام الَّتي سجنت النَّفس وقيَّدتْها.

١: ٢ فكم يجب أن يكون للنَّفس اشتياقٌ وحبٌّ نحو المسيح عريسِها الَّذي خطبها، كمثل امرأةٍ حكيمة مُحبَّة لرجلها، ناظرة دائمًا إلى رَجُلها حينما يكون في السِّجن أو في

---

(١) النَّصُّ اليونانيّ منشور في:

Neue Homilien des Makarius/Symeon, I aus Typus III, éditées par E. Klostermann et H. Berthold (TU 72), Berlin, 1961.

وله ترجمتان فرنسيَّتان:

Pseudo–Macaire, *Œuvres Spirituelles I, Homélies propres à la Collection III*, éd. et tr. par Vincent Desprez, SC 275, Les éditions du Cerf, 1980.

Ps.–Macaire, "Vois mes blessures, Homélie inédite du Pseudo–Macaire", Trad. par F. Refoulé, o.p., dans *La Vie Spirituelle*, Avril 1962, p. 428 – 433.

(٢) هذه عيِّنة من عظات المجموعة الثالثة من عظات القدِّيس أنبا مقار، الجاري حاليًّا ترجمتها ضمن المشروع الذي افتتحه نيافة أسقفنا المحبوب المُتنيِّح أنبا إبيفانيوس، بعنوان: ”الأعمال الكاملة للقدِّيس أنبا مقار“. وقد تمَّ نشر الأجزاء التالية منها: ١– العظات الروحيَّة الخمسون، ٢– الرسالة الكبرى للقدِّيس أنبا مقار، ٣– فضائل القدِّيس أنبا مقار.

(٣) القوي هو الشيطان، والأقوى منه هو المسيح وقد غلبه بذات سلاحه، أي باحتمال الموت الذي أمات به الشيطان آدم، كما يُقال في لحن القيامة: ”وداس الموتَ بالموتِ“.

القيود أو في عذاباتٍ أخرى، بسبب حبِّها له. فتبدو مُقيَّدةً ومُتألِّمةً معه[٤]، بل وتُعاني مُعذَّبةً في أحشائها أكثر من رَجُلها المُقيَّد.

١: ٣ وكما وَقَفَت مريم (المجدلية) باكيةً بجانب الرَّبِّ المصلوب، فكانت تبكي لأجل شوكة اشتياقها وكانت تبدو مصلوبةً معه؛ هكذا أيضًا النَّفس الَّتي أحبَّت الرَّبَّ وقَبِلَت في ذاتها غيرةَ العِشْق وتسعى بالحقِّ أن تقترن بالمسيح عريس نفسها، يجب أن تتألَّمَ معه في آلامه، ولها دائمًا أمام عينيها ذكرى سِماته[٥] الَّتي صارت له من أجلها، وكلّ الألم الَّذي تألَّم به من أجلها غيرُ المُتألِّم، وكيف عُوقِبَ من أجلها الَّذي هو فوق كلِّ عقابٍ! وكيف اتَّخذ صورة عبد مع كونه في صورة الله (في ٢: ٦، ٧)! وهكذا، في كلِّ هذه الأمور، تتألَّم معه وتُقيَّد معه، وهكذا ستتمجَّد أيضًا معه (رو ٨: ١٧).

١: ٤ وكما في ذلك الزمان، بقوة الله، دُحْرِجَ الحجرُ عن القبر (مت ٢٨: ٢) ورأت مريمُ الرَّبَّ (يو ٢٠: ١٤)؛ هكذا بقوَّة الرُّوح القدس وافتقاده، فإنَّ الحجر الموضوع على النَّفس، أيْ بُرْقُع الخطيَّة (٢كو ٣: ١٦، ١٧)، يُدَحْرَج ويُرفَع من الوسط، وتستحقُّ النَّفس أن تُعاين وجه المسيح وتستريح في روحه، مُنفكَّةً ومتحرِّرةً من حَجَرِ الخطيَّة الموضوع عليها.

١: ٥ لأنَّ كلَّ نفسٍ تحبُّ الرَّبَّ، يُضايقُها الشَّياطينُ الأشرار ويحاربونها ولا يَدَعونها تتقدَّم نحو المسيح المُحيي. لكن هذا يحدث بسماحٍ من الله وإذنه؛ لأنَّه يمتحنها ليعرف ما إذَا كانت تحبُّ سيِّدَها حقًّا، وما إذَا كانت ستستمرُّ بثباتٍ على الرَّغم من الآلام الَّتي تُعذِّبُها، أو إذَا كانت بسبب الملل ستُنكره وتستعفي من ألم الطَّريق وتهرب من محاربة "أجناد الشَّرِّ الرُّوحيَّة" (أف ٦: ١٢)؛ أو إذا كانت ستثبت وتستمر حتى إلى سنواتٍ في مواجهة تَجَارِب الشَّرِّ، وكأنها محكومٌ عليها عَلَنًا من قِبَل الربِّ بالتَّرك وبعدم الاستحقاق لأيِّ معونةٍ.

٢: ١ والرَّبُّ، حينما يرى شجاعة النَّفس وصبرَها في التَّجارب، وأنَّها حين جُرِّبَتْ وُجِدَتْ مُزَكَّاة؛ يُشرِق بصلاحه، وَيُظْهِرُ ذاتَه، ويُضيء عليها بنوره الفائق اللَّمعان، ويَدْعوها لذاتِه قائلًا: «تعالَيْ بسلامٍ يا خَلِيلتي» (نش ٢: ١٠). أمَّا هي فتركض نحوه وتُعاتبه قائلةً:

---

(٤) انظر: رو ٨: ١٧، قارن أيضًا مع العظة الثَّانية عشرة فقرة ٥، وأيضًا العظة السَّابعة والعشرين فقرة ١، للقدِّيس أنبا مقار (المجموعة الثَّانية). وكذلك مع العظات الخمسين – دير القدِّيس أنبا مقار – ٢٠١٦.

(٥) انظر: غل ٦: ١٧، أي علامات جروح المسيح الَّتي صارت له على الصَّليب.

”لماذا، يا ربُّ، تركتني[٦] كلَّ هذا الزَّمان أتألَّمُ كثيرًا وأُشْتَمُ من أعدائي؟ فقد «وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ» (نش ٣: ٣)، وأزعجوني ليلًا بينما كنتُ أبحث عنك“. وأمَّا الرَّبُّ المملوء نورًا لا يوصف، فيُجيبُها مُقْنِعًا ومُعزِّيًا ومُخاطِبًا إيَّاها، إذْ يقول حسنًا: «تعالَيْ بسلامٍ يا خَلِيلتي، يا جميلتي، يا حمامتي» (نش ٢: ١٠).

٢: ٢ ثمَّ يتحاجج معها (الرب)، ويُظهِر لها آثار المسامير ويقول: ”انظري آثار المسامير، انظري السِّياط، انظري البُصَاق، انظري جروحي. لقد تألَّمْتُ بكلِّ هذه من أجلكِ، يا مَنْ جُرِحْتِ بجروحٍ كثيرة (نش ٥: ٧)، وجرَّكِ أعداءٌ كثيرون إلى عبوديَّة قاسية؛ وأنا من أجل محبَّتي للبشر قد جئتُ في طلبكِ لأجل تحريركِ، لأنَّني منذ البداية عَمِلْتُكِ على صورتي وخلقتُكِ لتكوني لي عروسًا. ومن أجلكِ تألَّمتُ أنا غيرُ المُتألِّم، وتحمَّلتُ، أنا غيرُ المُهان، إهاناتٍ كثيرةً من أجل فدائكِ“.

٢: ٣ وأنتِ، من أجل نفسكِ، بينما تملَّكَتْكِ مِثلُ هذه الشُّرور وقد غرقتِ في مِثلِ هذا الظَّلام، أَمَا كان يجب أنْ تتألَّمي وتتضايَقي؟ وهكذا، بالمُحاجاة السَّلاميَّة والمُناقشة مع النَّفس، يُظهِر لها (الرب) أنَّه أثناء احتمالها الضِّيق، هو الَّذي أعطاها (نعمةً)، وهو الَّذي كان يُقوِّيها في تجاربها، وكان يُشجِّعُها سرًّا.

٣: ١ فحينما تسمع النَّفس هذا، تعرف أنَّه ليس لديها شيءٌ من ذاتها، ولكن كلُّ الأشياء هي من الرَّبِّ العريس الجميل والبهيِّ (نش ١: ١٦). فتعرف من كلِّ قلبها أنَّه هو الَّذي أعطاها الاشتياقَ والحبَّ والرَّغبة، وتُجيبُه قائلةً: ”هو ذا، يا ربُّ، هو ذا جسدي العفيف، هو ذا نفسي الطَّاهرة، خُذْني بالكلِّيَّة، فأكون مستورةً تحتَ يمينِكَ ومُستريحةً في أحضانِكَ“.

٣: ٢ والرَّبُّ يُظهِر نفسَه لها من وجهَين: بجراحه، وبمجد نوره؛ فتتأمَّل النَّفسُ في الآلام الَّتي تألَّم بها من أجلها، وتتأمَّل أيضا مجد نوره الإلهيِّ الفائق اللَّمعان، فتتغيَّر «إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢كو ٣: ١٨). وهكذا تتقدَّم في كِلَا الجانبَين، في الآلام وفي النُّور المجيد، فتنسى بنوعٍ مَا طبيعتَها الخاصَّة، وتكون مأخوذةً من الله، مُمتزجةً ومُختلطةً بالإنسان السَّماويِّ والرُّوح القدس (١كو ١٥: ٤٧، ٤٨)، وقد صارت هي نفسُها روحًا.

---

(٦) قارن مع القدِّيس أنطونيوس حين خاطب المسيح: ”أين كنتَ؟ لماذا لم تظهر منذ البداية لتوقف آلامي؟“، ”حياة القدِّيس أنطونيوس بقلم القدِّيس أثناسيوس“، PG 26, 680, 10.

٣: ٣ فكمثل شحَّاذٍ فقيرٍ جدًّا يستعطي من بابٍ إلى باب ليحصل على قُوتِهِ اليوميِّ، ويُصبح فجأةً مَلِكًا، فينسى فَقْرَه لأجل رخائه الَّذي بين يدَيه؛ هكذا النَّفس حينما تغتني بالغِنَى السَّماويِّ لا تتذكَّر فَقْرَها الأوَّل بعد. لأنَّه إذًا كان المسيح الَّذي كان بطبيعته في صورة الله، قد نسِيَ – بنوعٍ مَا – استحقاقَه لهذا، وأَخَذَ صورةَ عبدٍ صائرًا في شِبْه النَّاس[٧] (في ٢: ٦، ٧)؛ فكم بالحري النَّفس الَّتي تستقبل كيانَ الله[٨] وقوَّتَه وطبيعتَه، تنسى خِزيَها الأوَّل!

٤: ١ فَلْنَسْأَلِ الرَّبَّ، إذًا، وننتظر أنْ يُظهِر ذاته لنا في محبَّته ويفدينا من الظُّلمة منذ الآن، حتى بذلك عند القيامة، يستضيءَ جسدُ ضعفِنا هو أيضا بالنُّورِ السَّاكنِ في النَّفس والمُضيء لها؛ فهو أيضًا سيتمجَّد مع النَّفس. الرَّبُّ قريبٌ منَّا (في ٤: ٥)، فَلْنطلبْهُ وحدَه بقلبٍ صادق.

٤: ٢ فكُلُّ مَنْ يسمع هذا الكلام، فَلْيَرْجُ إذًا أنْ يقبل أقنوم الكلمة ويتعلَّم منه كلَّ برٍّ. أمَّا أنتَ يا مَنْ ترجو أنْ ترثَ الله (رو ٨: ١٧)، وأن تمتزجَ نفسُك بروح الرَّبِّ؛ فانظر بأيِّ سيرةٍ ووقارِ المعيشة يجب أن تلتزم، وبأيِّ سلوكٍ يجب أن تسير وتتصرَّف. فإنَّ كلَّ هذا يجب أن تعمله وتُبيِّنه، بكلِّ ما أُوتيتَ من قوَّة، آمين.

(٧) انظر العظة السَّادسة والعشرين للقدِّيس أنبا مقار (المجموعة الثَّانية) فقرة ٢٥؛ وانظر العظات الخمسين، دير القدِّيس أنبا مقار، ترجمة الرَّاهب يونان المقاريّ، ٢٠١٦.

(٨) النفس "تستقبل كيان الله"، ليس بمعنى أنها تتحوَّل إليه، ولكن أنها تقبل حلول الله فيها كالمكتوب: **«... أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ»** (١كو٣: ١٦).

بمناسبة
أسبوع الآلام

دموعٌ في طريق الحبِّ الإلهي

الربُّ يردُّ كرامة المرأة ورتبتها التي فقدتها بالخطية:

+ **"بمشورة حوَّاء أُمِّنا الأولى، أَكَلَ آدم من ثمرة الشَّجرة: ومن قِبَل مريم والدة الإله أُرجِعَ آدم إلى رئاسته دُفعةً أخرى"** (لُبش الاثنين).

+ **"من أجل حواء أُغلِقَ باب الفردوس: ومن قِبَل مريم العذراء فُتِحَ لنا مرةً أخرى"** (ثيئوطوكية الخميس – القِطعة الثانية).

هذه هي المرأة التي أراد الرب، بتدبيره العجيب، أن يرُدَّ إليها كرامتها كأُمِّ كلِّ حيٍّ. فبعد أن تهاوَت البشريةُ ساقطةً من جرَّاء المُخالفة بالأكل من الثَّمرة المُحرَّمة، أراد الربُّ محبُّ البشر الصالح أن يستردَّ لها كرامتها ويردَّها إلى رتبتها الأولى؛ لذلك تجسَّد من فتاةٍ عذراء ليصبح كواحدٍ منَّا (إذ كان يمكنه مثلًا أن يظهر فجأةً للعالم ولا يعلم أحدٌ من أين أتى أو إلى أين يذهب!). لكنه دخل التاريخ الإنساني كإنسانٍ كامل معروف أصله ونَسَبه لكلِّ العالم. وبعد ذلك، ومِن فرط محبته للبشر، سربل النِّسوة في كلِّ جيلٍ بكرامةٍ فائقة، رأيناها أولًا مع السامريَّة، ثم المرأة التي أُمسِكَت في ذات الفعل، ومع المجدليَّة، والنسوة اللائي طيَّبنَه، وفي بيت الفرِّيسي، وسمعان الأبرص، وبيت لعازر، وباقي المريمات اللائي قدَّمن له أسمى تكريم، وتعبيرًا عن الحبِّ اللائق بمخلِّصٍ مُحبٍّ للبشر. لم نَرَ ما يُماثل هذا الحب في أعظم تلميذ أو رسول. لهذا أَمَر الربُّ أنْ يُكرَز بهذا الحبِّ في الإنجيل في كلِّ المسكونة على مدى الأجيال.

ولقد تعدَّدت مشارب الآباء في محاولة التعرُّف عمَّنْ تكون هذه المرأة، أو مَنْ هُنَّ تلك النِّسوة. ولعل الوحي المقدَّس قَصَد عدم ذكرهن بالاسم، حتى يفتح المجال لكلِّ نفسٍ تتوق لمحبة المسيح وتُقدِّم له طِيب دموعها، وأطياب أشواقها، أن تتَّخذ لها صورة وفعل هذا العمل المقدَّس وتغترف من مَعين هذا الحبِّ الذي لا ينضُب.

مقارنة بين نوعَي الحب، بالرغم من تساويهما في القيمة عند الرب:

يعقد **القدِّيس كيرلس الكبير** (٣٧٦ – ٤٤٤م) مقارنةً بين نوعَي حبِّ كلٍّ من مريم ومرثا، وكيف أنَّ لكلٍّ منهما مذاقة مختلفة، وإنْ تساويا في القيمة عند المخلِّص، فيقول:

[قَصَدَ القدِّيس يوحنا البشير أن يذكر اسم كلٍّ من الأُختين مريم ومرثا، لأنه يريد أن يُظهِر لنا الفرق بين نوعَيْن من التقوى **المقبولة**، وكيف أنَّ الربَّ **أحبَّهن**، وعلى مدى الكثير من أعمال المحبة التي أظهرتها مريم له. فقد ذَكَرَ دَهن قدميه بالطِّيب، وهذا أظهره البشير عَرَضًا ليُبَيِّن أن مريم كانت عطشى بصورةٍ بالغة للربِّ حتى أنها مسحت قدميه بشعر رأسها، ذلك لكي تدعم بشدَّة – وبطريقةٍ ملموسة – البركة الروحية التي تتحصَّل من جسدِه المقدَّس. ولا شكَّ، أن ذلك يُظهِر بحرارة الارتباط به بالجلوس تحت قدميه، وهي غير عابئة بأيِّ تشتُّت خارجي ومُلتصقة به بعلاقةٍ قلبية عن قُرب][١].

التفرقة بين مريم أُخت لعازر والمرأتين الأُخرتين:

ويُفرِّق **القدِّيس يوحنا ذهبيّ الفَم** (٣٥٤ – ٤٠٧م) بين مريم أُخت لعازر والمرأتين الأُخرتين ساكبتَي الطِّيب، فيقول:

[يجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نُلاحظ أنَّ مريم أُخت لعازر، ليست تلك المرأة التي ذَكَرها متى أو لوقا البشيران، لكنها شخصٌ آخر. فذينك كانتا زانيتين خاطئتين، أمَّا تلك فكانت امرأة تقيَّة أظهرت إكرامًا عظيمًا نحو المخلِّص][٢].

لكن **القدِّيس أُغسطين** (٣٥٤ – ٤٣٠م) وبعض الشُّرَّاح أيضًا[٣] مثل: أوريجانوس، يَرَوْنَ أن أُخت لعازر – كامرأةٍ سيِّئة السُّمعة – هي مَنْ ذَكَرها كلٌّ من القدِّيسَين متى ولوقا، فيقول:

[يؤكِّد القدِّيس يوحنا ما ذَكَره القدِّيس لوقا ممَّا حدث في منزل سمعان الفرِّيسي، أنَّ مريم سبق أن عملت ذلك في بيت سمعان في مناسبةٍ سابقة، وكررت ذلك في

---

(1) Cyril of Alexandria, *Commentary on the Gospel of John* LF 48:110.

(2) Chrysostom, *Homilies on the Gospel of John* NPNF 1 14. 227.

(٣) يرى البابا غريغوريوس الكبير (٥٤٠ - ٦٠٤م) الذي تبوَّأ كرسي روما عام ٥٦٠م، أنَّ كلَّ النساء اللائي طيَّبن جسد الرب هن جميعًا مريم المجدلية.

بيتها في بيت عنيا، وهو ما لم تذكره باقي الأناجيل][٤].

أمَّا القدِّيس **يوحنا ذهبي الفم** (٣٥٤ – ٤٠٧م)، فيوضِّح التفرقة بصورةٍ قاطعة، حتى لا يلتبس الأمر على القارئ، فيقول:

[قد يبدو للوهلة الأولى، أنَّ هذه المرأة التي ذَكَرها متَّى، هي نفس المرأة التي ورد ذِكْرها في باقي الأناجيل؛ لكني أشكُّ في ذلك. فمتَّى ذَكَر امرأةً أُخرى، وهي فعلًا امرأة رائعة جديرة بالإعجاب في تطييب رأس يسوع. أمَّا يوحنا فذَكَر تطييب قدميه. فلهذا فقد أصاب البشير متَّى بذِكْر أن هذه المرأة جاءت إلى بيت سمعان الذي كان أبرصَ. لهذا واتتها الشجاعة والثِّقة لهذا العمل العجيب. فالبَرَص كان يُعَدُّ أكثر الأمراض نجاسةً وكراهية. ولذلك فهي قد رأت يسوع، ليس فقط أنه شفى سمعان، لكن أيضًا دخل بيته. ومِنْ ثَمَّ فقد تجرَّأت بثقةٍ أن تمسح قدميه كي يمحوَ هو نجاسة نفسها][٥].

المغزى الروحي من سَكب الطِّيب على رأس المخلِّص:

وإذا حاولنا أن نفهم رمزيَّة الطِّيب المسكوب على الرأس الطاهر التي لفادينا الحبيب، ومَنْ هي المرأة في واقع حالنا الحاضر، فإن "أثناسيوس الغرب" القدِّيس **إيلاريون أسقف بواتييه** (٣١٠ – ٣٦٧م) يُخبرنا عن ذلك بفكره الآبائي الأصيل، فيقول:

[ترمز هذه المرأة إلى الأُمم، وهم مَنْ مجَّدوا الله في صورة المسيح المتألِّم. فهي قد طيَّبت رأس المسيح باهتمام، لأن «رَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ» (١كو ١١: ٣)، والطِّيب يُشير إلى ثمر الأعمال الصالحة، ولهذا فنحن نُطوِّب جنس النساء الذي أكرم جسد يسوع. ومِنْ ثَمَّ فقد نقل (الربُّ يسوع) كلَّ ما تمَّ من إكرامٍ لجسده وكل هذا الحب، لمجد الله الآب. أمَّا التلاميذ الذين كانوا يهتمون فقط بخلاص إسرائيل، فقد غضبوا كالعادة: "كان يجب أن يُباع ويُعطَى ثمنه ..."، لكن طِيب حبِّ المرأة لا يُباع ولا يُشترى][٦].

القُبلة هي علامة المحبة:

ومن جانبٍ آخر، فقد صاحَبَ سَكْب الطِّيب والدموع، سيلٌ من قُبلات المحبة الغامرة

(4) Augustine, *Harmony of the Gospels* 2,79, 154 CSEL 43: 261; NPNF, 6:174.

(5) Chrysostom, *The Gospel of Matthew*, Homily 80.1 PG 58:723-24 ; NPNF, 1 10:480.

(6) Hilary of Poitiers, *On Matthew* 29.2 SC 258: 219 – 221.

لقدَمَي الرب، له كل المجد، وينفرد **القدِّيس أمبروسيوس** (٣٣٩ – ٣٩٧م) بشرح ذلك، فيقول:

[إنَّ القُبلة علامة المحبة. إنه حقًّا يُقبِّل قدمَي يسوع ذاك الذي يقرأ الإنجيل مُدركًا أعمال يسوع ومُطوِّبًا إيَّاها بحبٍّ فائق، مُعانقًا آثار أقدام السيِّد أينما سار؛ يُقبِّل المسيح بقُبلة الشركة، «لِيَفْهَمِ الْقَارِئُ» (مت ٢٤: ١٥). ها هي الكنيسة لا تكفُّ عن تقبيل قدمَي المسيح مُتلهِّفة، لا بقُبلةٍ واحدة بل بسيلٍ من القُبلات: «لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلَاتِ فَمِهِ» (نش ١: ٢). ولذلك، فالكنيسة، مقتدية بالقدِّيسة مريم أُخت لعازر، تنصت لكلمات الحبيب، وتتقبَّل أقواله حين تقرأ الأناجيل أو النبوَّات؛ وهكذا تحفظ كلَّ هذه الكلمات في قلبها (لو ٥: ٥١). فالكنيسة وحدها هي العروس، والقُبلة هي وَعْدٌ بالعُرس، وامتيازٌ لرابطة الزيجة][٧].

الأثر الروحي لهذه القصة على المؤمنين والكنيسة:

ويُظهِر **القدِّيس جيروم** (٣٤٩ – ٤٢٠م) إلمامًا عميقًا باللُّغة الآرامية، فيُفسِّر رموز الأسماء الواردة في سردية القصة، وأثر ذلك على الجانب الروحي الذي يُلامس المؤمنين والكنيسة في العهد الجديد، قائلًا:

[فيما كان المخلِّص مُزمعًا أن يتألَّم لأجل خلاص كلِّ البشر وليفدي العالم بسَفْك دمه، دخل بيت عنيا (تعني: "بيت الطاعة"). وسمعان الأبرص هذا لم تذكُر الأناجيل أنه نال الشفاء تصريحًا، لكن كان ذلك تلميحًا، يُفهَم من سياق الأحداث. فالبَرَص هي كينونته الأولى فهو لم يَعُد بعد أبرصَ، فقد تلامس مع يسوع المُطَهِّر الشافي. وهذا هو دَأب البشير، كما ذَكَر متَّى كعشارٍ خاطئ، على الرغم من أنه قد هَجَرَ هذه الوظيفة الممجوجة. وهذا الاسم بالذات، هو صدًى لاسم "بيت الطاعة"، فسمعان قد تعني أيضًا "المُطيع". وهكذا صار سمعان "المُطيع" الذي يقطن "بيت الطاعة". ومِن ناحيةٍ أخرى، فالاسم "سمعان" يمكن أن يُعطي معنى: "الذي نال الشفاء"، إذ إنَّ في بيته نالت الكنيسة شفاءً أبديًّا من نجاسة البَرَص بواسطة المخلِّص][٨].

محبتنا هي ثمرة موت المسيح لأجلنا، وموت المسيح هو جذر محبتنا:

إنَّ الرابطة بين المحبة والموت، سرِّيةٌ هي، وهي عميقة وممتدَّة عمق الأبديَّة وامتدادها.

---

(7) Ambrose, *Letter* 62 FC 26:390-92.

(8) Jerome, *Commentary on Matthew*, 4. 26. 6; CCL 77: 246.

فمحبتنا هي ثمرة موت المسيح، وموت المسيح هو جذر محبتنا وأصلها. ولهذا فإنَّ **القدِّيس أمبروسيوس** (٣٣٩ – ٤٢٠م) يبدو وكأنه ثَمل بمحبة مَنْ مات لأجله، يصدح بتلك الأنشودة، فيُسطِّر هذه الكلمات:

[المسيح هو حبُّنا. والحبُّ هو الصلاح الكامل، لأنه قدَّم ذاته للموت لأجل آثامنا. الحبُّ هو كمال صورة الله التي تجلَّت بهذا الغفران، فهلَّا تسربلنا بتلك المحبة التي هي قويَّة كالموت؟ فبهذا الموت نلنا غفران الخطايا علامة الحب. كلُّ مَنْ يحب يكفُّ عن الخطية، لأن: «... الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ، وَلَا تَنْتَفِخُ، وَلَا تُقَبِّحُ، وَلَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلَا تَحْتَدُّ، وَلَا تَظُنُّ السُّوءَ، وَلَا تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (١كو ١٣: ٥ – ٧). والموت الذي نناله في جُرن المعمودية وفيه تُدفَن كلُّ الخطايا، هو قادرٌ أن يمحو كلَّ ذنب. والمرأة الخاطئة ذاقت هذا الحب، ولهذا قال المخلِّص: «قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا»][9].

وسائل غفران الخطايا:

ويُعدِّد **العلَّامة أوريجانوس** (١٨٥ – ٢٥٤م)، وقد استظهر كلمات الوحي المقدَّس، فجال فيه مُتأمِّلًا ومُصنِّفًا؛ وسائل غفران الخطايا التي وردت على مرِّ صفحاته كما يلي:

[**أول** وسيلة لغفران الخطايا: هي **المعمودية**: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ» (يو ٣: ٥). **والثانية**: هي **الاستشهاد**. **والثالثة**: هي **فعل الرحمة**: «بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُوَ ذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ» (لو ١١: ٤١). **الرابعة**: **عندما نغفر للآخرين**: «وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا» (مت ٦: ١٢). **الخامسة**: عندما **يهدي أحدٌ خاطئًا** عن طريق ضلاله: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنْ ضَلَّ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ عَنِ الْحَقِّ فَرَدَّهُ أَحَدٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ رَدَّ خَاطِئًا عَنْ ضَلَالِ طَرِيقِهِ، يُخَلِّصُ نَفْسًا مِنَ الْمَوْتِ، وَيَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا» (يع ٥: ١٩ – ٢٠). **السادسة**: ننالها **بالحبِّ الكثير**: «وَلكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا» (١بط ٤: ٨). **والسابعة**: أخيرًا، عن طريق **التوبة والإماتات**، وهو الأمر العسير والصعب: «تَعِبْتُ فِي تَنَهُّدِي، أُعَوِّمُ كُلَّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي،

(9) Ambrose, *Isaac, or The soul*, 8.75-56 FC 65:59-60.

وَبِدُمُوعِي أَبُلُّ فِرَاشِي»(مز٦: ٧ س)، «صَارَتْ لِي دُمُوعِي خُبْزًا نَهَارًا وَلَيْلًا، إِذْ قِيلَ لِي كُلَّ يَوْمٍ: أَيْنَ هُوَ إِلَهُكَ؟» (مز ٤: ٤١س)][١٠].

الربُّ يُظهِر عِظَم صلاحه وغِنَى نعمته للخطاة:

وقد يتساءل البعض: هل يمكن أن يغفر الربُّ خطايا إنسانٍ ما، تثبَّتت عليه بأحكام الناموس القاطعة، بمجرد كلمة منه، حتى قبل أن يغفرها الربُّ على الصليب؟ يُجيب على هذا التساؤل **القدِّيس كيرلس الكبير** (٣٧٦ – ٤٤٤م) صاحب القلم الذهبي، قائلًا:

[أعلن الربُّ أنه يغفر للمدينين بالكثير والقليل حتى لا يكون أحدٌ خاليًا من صلاحه ونعمته. وكوعدٍ ومثالٍ جَلِيٍّ لنعمته، فقد حرَّر المرأة غير الطاهرة من آثامها الكثيرة بقوله: "غُفِرت لكِ خطاياكِ". وإنَّ هذا الإعلان لا يصدر إلَّا من الله الذي له كلُّ المجد بكلماتٍ مصحوبة بسلطانٍ عُلوي، فالناموس يدين الخطاة. تُرَى مَنْ هو صاحب السلطان الذي يعلو الناموس؟ لا يمكن إلَّا أن يكون واضعَه ذاته. وهو مَنْ حرَّر المرأة ووجَّه أنظار الحضور، بمَنْ فيهم الفرِّيسي، لأمور سامية جدًّا. فقد برهن أنه، وهو الله الكلمة، أعلى من كلمات الناموس ذاتها، وأسمى من مقاييس البشر، رغم أنه صار إنسانًا][١١].

الطِّيب المسكوب على قدمَي الربِّ انتشر أريجه في كلِّ الكنيسة والعالم:

إنَّ الطِّيب المسكوب على القدمَيْن، يسيل على مرِّ الأزمان ليُطيِّب بأريجه كلَّ الكنيسة: جسد المسيح، لتنتشر رائحة المسيح الذكيَّة إلى أبد الدهور. ولذلك يُقرر **العلَّامة أوريجانوس** (١٨٥ – ٢٥٤ م) هذه الحقائق بحكمة، فيقول:

[إنَّ الدَّهن بالطِّيب عَطِر الرائحة، يُشير إلى الأعمال الصالحة التي نُقدِّمها لله، وهي ذاتها تمتدُّ فاعليتها لصالح الإنسان. فمثلًا: فعل الخير للفقير، زيارة المريض، إضافة الغرباء، التواضع، اللُّطف، الغفران لقريبي، وهَلُمَّ جرًّا. كلُّ هذه الأمور هي لصالح الغير من إخوتنا. وكلُّ مَنْ يعمل تلك الأفعال يدهن قدَمَي المُخلِّص بالطِّيب. وبواسطة كلِّ هؤلاء، يسير المخلِّص وسط البشر. وفي نفس الوقت، هي الطِّيب الذي يدهن رأس السيِّد، ومنها ينسكب نحو كلِّ الجسد، أي الكنيسة.

(10) Origen, *Homilies on Leviticus* ,2.4.5; FC 83:47.

(11) Cyril of Alexandria, *Commentary on Luke*, Homily 40 ; CGSL 171-72.

ورائحة هذا الطِّيب تملأ البيت، أي كنيسته.

هذا هو العمل الصالح الذي يسبغ لا التائبين فقط، بل قدِّيسي الكنيسة المُبارَكين. وبالتأكيد، فإنَّ التعليم الخاص بإطعام الفقراء في الروح، الضعاف في الحرب الروحية، يُقصَد به تطييب قدمَي المخلِّص. وعلى أيِّ حال، فإنَّ معرفة الإيمان الحقيقي بالربِّ يسوع خاصة، هو بمثابة تطييب رأسه ذاته][١٢].

العلاقة والارتباط بين الطِّيب وبين حياة الكنيسة:

ويربط **الأب متى المسكين** بين الطِّيب المسكوب وحياة الكنيسة الحاضرة والمستقبلة في الأبديَّة، والمواعيد العظمى والثمينة التي أعدَّها الرب مجانًا للمؤمنين، علامة حبٍّ متبادَل يغمر الجسد ويُسربله بمجدٍ فائق، قائلًا:

[كان الطِّيب المسكوب على الجسد الحيِّ من أجل تكفينه في بيت عنيا، أول شركة مقدَّسة صادقة في موت المسيح. وكانت هذه المسحة الأخيرة، أول عبادة مقدَّسة للجسد الإلهي الذي ارتفع إلى السماء حيًّا، ليُحيي جسم البشرية ويُبرِّرها. لقد ردَّ المسيح طِيب الناردين مُضاعفًا باقيًا أبدًا لجسد البشرية الذي اتَّحد به، ومنحه روحه وحياته وبنوَّته، بأن أجلسه عن يمين أبيه. وارتدَّ تذكار هذه المحبة الخالصة الكثيرة الثمن لصاحبته من دور فدور، وفي كلِّ كنيسة وقلب وعابد في العالم كلِّه. وقد صار ناردين البشرية المسكوب على جسد المسيح، مدخلًا بديعًا للآلام، ونبوَّة عن قيامةٍ عتيدة، تُعطِّر تاريخ الإنسانية][١٣].

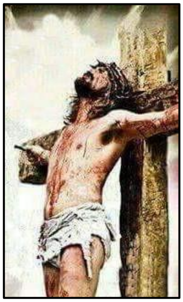

(12) Origen, *Commentary on Matthew*, 77; GCS 38.2.185-86.

(١٣) الأب متى المسكين، "الإنجيل بحسب القديس متى – دراسة وتفسير وشرح"، ٢٠١٩، ص ٧٤٠، مطبعة دير القديس أنبا مقار.

بمناسبة
خميس العهد

معجزة الإفخارستيًّا

❖✠❖

منتهى عطاء الله للإنسان:

أَخَذَ ابن الله جسدنا وتجسَّد، وأعطانا جسده ودمه لنأكله ونشربه لنتَّحد به، وفي هذا الصدد يقول **القدِّيس يوحنا ذهبي الفم:**

[يهمُّنا جدًّا أن نتعرَّف على المعجزة الحادثة في أسرارنا، ونعرف ما يتمُّ فيها، ولماذا مُنِحَت لنا، وما الربح الروحي الذي نستمدُّه منها؟ **إننا نصير بها جسدًا واحدًا مع الربِّ، و«أَعْضَاء جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ»** (أف ٥: ٣٠).

فلينصت جيِّدًا كلُّ مَنْ يتقدَّم إلى الأسرار إلى ما أقول:

لقد قَصَدَ الربُّ أن يجعلنا واحدًا معه، ليس فقط بمشاعر المحبة، بل وبالفعل الواقعي أيضًا، حتى نصير مُمتزجين به في جسدٍ واحد. وقد حقَّق ذلك بالمأكل الحقِّ الذي وهبه لنا مجانًا، مُعبِّرًا بذلك عن مقدار محبته التي أحبَّنا بها. وهكذا، فقد مزج نفسه بنا حتى جعل جسده يمتزج بأجسادنا لكي نصير معه كيانًا واحدًا، بمثل ما تكون أعضاء الجسد متَّصلة بالرأس. فإنَّ هذه هي سِمَة المحبة الشديدة أن تؤدِّي إلى الاتِّحاد.

لقد عبَّر أيوب الصِّدِّيق عن ذلك مُشيرًا إلى عبيده الذين أحبُّوه، لدرجة أنهم كانوا يشتهون أن يصيروا مُلتحمين بجسده. فقد كانوا يقولون بسبب شدَّة محبتهم له: «مَن يُعطينا أن نشبع من لحمه؟» (أي ٣١: ٣١ سبعينية). فالذي كانوا يشتهونه من جهة سيِّدهم (أيوب)؛ هذا قد حقَّقه لنا المسيح، لكي يُظهِرَ لنا محبَّته من نحونا ولكي يُدخِلنا في علاقةٍ أوثق به! فهو لم يجعلنا فقط نراه، بل أعطانا أيضًا أن نلمسه، بل ونأكله ونستقبله داخلنا بالتمام! فنشبع من حبِّه على قدر ما اشتهيناه!

فلْنعُدْ، إذن، من المائدة المقدَّسة كمثل الأُسود المملوئين غيرةً، ولنصِرْ مُرهِبين

للشيطان؛ إذ نذكر باستمرار ذاك الذي فينا الذي هو رأسنا، ونذكر الحبَّ الفائق الذي أظهره من نحونا.

إنَّ الأُمهات كثيرًا ما دَفعْنَ أطفالهن إلى مرضعات، ”وأما أنا، يقول الرب، فإني أُغذِّيكم بجسدي الخاص، لكي أجعلكم جنسًا كريمًا، وأُعطيكم من الآن رجاء الخيرات العتيدة. فالذي يُعطيكم ذاته في الحياة الحاضرة، فكَم بالأحرى في الأخرى؟ لقد ارتضيتُ بأن أصير أخًا لكم، ومن أجلكم اشتركتُ معكم في اللحم والدم. والآن، هوذا أنا أُسلِّم إليكم – مرةً أخرى – جسدي ودمي اللذين بهما صرتُ شريكًا في جنسكم“.

هذا هو، يا أحبَّائي، الدم الإلهي الذي يُظهِر فينا صورة المسيح ملكنا، ويُعطي نفوسنا بهاءً فائقًا لا يزول طالما هو يرويها ويُغذِّيها بتواتر. فهذا الدم يروي نفوسنا ويُنعشها ويمنحها أعظم قوة. حينما نتناوله باستحقاق، فهو يجعل الشياطين تهرب منَّا، ويستدعي فينا الملائكة، والله نفسه رب الملائكة! إنَّ الشياطين تهرب خائرة بمجرَّد أن ترى فينا الدم الإلهي؛ وأمَّا الملائكة فتقترب وتسجد!

هذا الدم المسفوك هو الذي غَسَل المسكونة كلها من أقذارها ... هذا الدم هو تقديسٌ لنفوسنا وخلاصها. إنه يزيدها بهاءً ويُشعلها كالنار. إنه يُعطينا فهمًا مُستنيرًا أكثر من لهيب النار، ونَفْسًا لامعةً أكثر من الذهب. إنَّ هذا الدم عندما سُفِكَ على الأرض، قد جعل السماء في متناول أيدينا! فبالحقيقة، ما أرهب أسرار الكنيسة! وما أرهب مذبحها المقدَّس!

من الفردوس الأرضي كانت تنبع عين مياه تتفرَّع إلى عدَّة أنهارٍ مادية، والآن من هذه المائدة المقدَّسة يخرج ينبوع مياه روحية تندفع منه أنهارُ نِعَمٍ روحيَّة. لو استطاع أحدٌ أن يغمر يده أو لسانه في الذهب المُنصهر، لكان يستردُّها وكلها مكسوَّة بالذهبِ؛ هكذا، بل وبطريقةٍ أعظم من هذه، يكون الأثر الحادث في النَّفْس التي تشترك في هذه الأسرار. إنَّ هذا الدم صار ثمنًا لافتداء العالم. به اقتنَى المسيح كنيسته (أع ٢٠: ٢٨)، به قد زيَّنها بكلِّ موهبة. إنَّ الذين يتناولون من هذا الدم، يصيرون مُلازمين للملائكة ورؤساء الملائكة والقوات السماويَّة!

بل يكونون لابسين ثوب المسيح نفسه ملكهم وحاملين أسلحة الروح، بل إني بقولي ذلك لم أُعبِّر عن الحقيقة العُظمى: إنهم يصيرون لابسين المسيح نفسه ملكهم! هذه هي

الحقيقة العظمى والمُدهشة بالحق. فإذا ما اقتربتم منها بطهارة، فإنكم تقتربون من الخلاص][1]!

بأيِّ طهارةٍ وشوقٍ فائقَيْن ينبغي أن نتقدَّم إلى هذا السر؟

ويستطرد **القدِّيس يوحنا ذهبي الفم** قائلًا:

[إنَّ الربَّ لم يكتفِ بأن يصير إنسانًا وأن يُضرَب ويُقتَل، ولكنه أراد أيضًا أن يمزج نفسه بنا، وذلك ليس فقط بالإيمان؛ بل وبالفعل الواقعي أيضًا، فقد جعلنا جسدًا له. فبأيِّ طهارةٍ فائقة ينبغي أن يتقدَّم ذاك الذي ينال من مثل هذه الذبيحة؟ وألَّا ينبغي أن تكون تلك اليد التي تقسم مثل هذا الجسد أكثر نقاوةً من أشعة الشمس؟ وذلك الفم الذي يمتلئ بالنار الإلهيَّة، وكذلك ذلك اللسان الذي يصطبغ بهذا الدم الرهيب؟ فانظرْ إلى مقدار الكرامة التي دُعِيتَ إليها، وإلى سموِّ المائدة التي تشترك فيها!

فالشيء الذي ترتجف الملائكة من مجرد رؤيته، ولا تجسر أن تنظر إليه بدون رعدةٍ بسبب شدَّة الضوء المُنبعث منه؛ هذا الشيء بعينه هو الذي نأكله. وبه هو نفسه، نحن نمتزج لنصير به جسدًا واحدًا ولحمًا واحدًا مع المسيح: «مَنْ يَتَكَلَّمُ عَنْ أَعْمَالِ الرَّبِّ الْقَدِيرَةِ، وَيَجْعَلَ كُلَّ تَسَابِيحِهِ مَسْمُوعَةً؟!» (مز ١٠٥: ٢ سبعينية).

أيُّ راعٍ عَالَ رعيته بأعضائه الخاصة؟ ولماذا أتكلَّم عن الرعاة بينما توجد أُمهاتٌ كثيرات بعد أن احتملن آلام الولادة، دفعن أطفالهن إلى نساءٍ أُخريات كمُرضعات! ولكن الرب لم يَطِقْ أن يفعل هكذا؛ بل هو نفسه يُغذِّينا بدمهِ الخاص، وبكلِّ وسيلة يمزجنا بنفسه. فاعلم جيِّدًا أنه بميلاده قد اشترك في طبيعتنا.

ولكنك تقول: وما المنفعة من ذلك لجميع الناس؟ بَلَى، إنَّ هذا يخصُّ الجميع! لأنه إن كان قد جاء في طبيعتنا، فمن الواضح أنَّ هذا الإحسان قد صار للجميع. وإن كان للجميع، إذن، فلكلِّ واحدٍ منَّا بخصوصيته.

ولكنك تقول: فلماذا، إذن، لم ينتفع الجميع من مجيئه؟ هذا التقصير لا يرجع إليه،

---

(١) عظة ٤٦ على إنجيل يوحنا حسب الترجمة الإنجليزية المنشورة في: NPNF, 1st ser. Vol. XIV, p. 166-167. وذلك بالمقارنة مع الترجمة الفرنسية المنشورة في: Oeuvres Complètes, trad. Par M. l'abbé Joly, Paris, 1864, t. I, p. 566 ss.

إذ إنه قَصَدَ أن يتجسَّد من أجل الجميع، ولكن التقصير من الذين لم يشاءوا الخلاص. إذن، فهو يمزج نفسه في الأسرار مع كلِّ واحدٍ من المؤمنين. والذين ولدهم، فأولئك يُطعمهم من ذاته ولا يدفعهم لآخر. وبهذا أيضًا هو يقنعك أنه قد أَخَذَ جسدك.

فلا نكن، إذن، جاحدين لإحسانه، بعد ما استؤهلنا لمثل هذا الحبِّ ولمثل هذه الكرامة. أَلَا تَرَوْنَ الرُّضعان كم يشتهون أثداء أُمهاتهم؟ فبنفس الاشتياق، ليتنا نقترب إلى هذه المائدة، ونرتشف من كأس الحياة!

ليتنا نجتذب منها لأنفسنا نعمة الروح، وليكن حزننا الوحيد هو أن نُحرَم من هذا القوت السماوي. إنَّ الأسرار التي تُقام أمامنا ليست من عمل إنسان، فالذي أقامها في ذلك الزمان في ذلك العشاء الأول، هو بعينه الذي يُقيمها الآن! وأما نحن (الإكليروس) فلسنا سوى خُدَّام له. ولكنه هو بنفسه الذي يُقدِّس القرابين وينقلها[٢]. فهذه المائدة هي نفس المائدة التي كانت في ذلك الزمان ولا تنقص عنها شيئًا. ليس أن المسيح أقام تلك والإنسان (الكاهن) يُقيم هذه الآن؛ ولكن المسيح هو بنفسه الذي يُقيم هذه أيضًا بالسويَّة. فنحن الآن في العليَّة حيث كانوا مجتمعين في ذلك الزمان!][٣].

سرُّ الإفخارستيا هو غذاء الأُم لأبنائها:

العهد الجديد الذي أسَّسه الربُّ بدمه في العشاء الربَّاني، كان يُعتبَر تحقيقًا للرمز الذي تمَّ على يدَي موسى النبي: «أَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: ”هُوَ ذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ“» (خر ٢٤: ٨)، إذ قال الربُّ يسوع: «هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ» (مر ١٤: ٢٤)، أو حسب تعبير بولس الرسول: «هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي» (١كو ١١: ٢٥). وهو نفس النصِّ الذي ذكره القدِّيس لوقا (٢٢: ٢٠)، مُحققًا الرب بذلك نبوَّة إرميا النبي: «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، ”وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا“» (إر ٣١: ٣١). فدم المسيح قد حلَّ

---

(٢) قارن ما يقوله الكاهن في القُدَّاس الغريغوري: ”يا الذي بارك في ذلك الزمان، الآن أيضًا بارك. يا الذي قدَّس ... الآن أيضًا قدِّس. يا الذي قسَّم في ذلك الزمان، الآن أيضًا قسِّم. يا الذي أعطى ... الآن أيضًا أعطِنا وكل شعبك ...“.

(٣) عظة ٨٢: ٥ على إنجيل متى حسب الترجمة الإنجليزية المنشورة في: NPNF, 1st ser. Vol. X, p. 495,497. وذلك بالمقارنة مع الترجمة الفرنسية المنشورة في: Oeuvres Complètes, trad. Par M. l'abbé Joly, Paris, 1864, t. VII, p. 157.

محل دم الحملان والثيران (خر ١٢: ٧؛ ٢٤: ٥)، فهو بالضرورة عهدٌ جديد.

في الإفخارستيا يتجسَّد أعمق سرٍّ في المسيحية من جديد ويمتدُّ عمل الصليب الخلاصي أمامنا! هنا يدوم ويُخلَّد الإطعام المُعجزي للخمسة آلاف روحيًّا! هنا المسيح – الجالس عن يمين الله والذي لايزال حقًّا حاضرًا في كنيسته حتى نهاية العالم – يُعطي جسده ودمه كذبيحةٍ لأجلنا، أي ذاته نفسها، حياته وقوة موته الكفَّاري، كطعامٍ روحي باعتباره الخبز الحقيقي الذي من السماء، لجميع الذين يأتون جائعين عطشى إلى الوليمة السماويَّة مع امتحانٍ وافٍ للنَّفْس. ولذلك تُعتبر الشركة في هذا السرِّ دائمًا، كأنها قُدْس أقداس العبادة المسيحية(٤).

الإفخارستيا والاتِّحاد بالمسيح:

في العشاء الربَّاني، بلور الربُّ يسوع الرباط بين الزيجة المسيحية والإفخارستيا، هذا الرباط وثيقٌ هو لدرجة أنه لا يمكن فهم إحداهما فهمًا وافيًا بدون الأخرى. فما فعله الربُّ هو أنه ضمَّ – في فعلٍ واحد – أعظم رَمزَيْن رئيسيَّيْن للحبِّ والاهتمام بالآخرين. فقد اتَّخذ إعطاء الخبز – الذي هو عمل الوالدين الأساسي ولاسيما الأُمّ – كمظهر لاهتمام الوالدين بأطفالهما، ووحَّد هذا الرمز مع مفهوم البذل وإعطاء جسد الزوجين كلٍّ منهما للآخر. فأَخَذَ خبزًا وقال: «خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي» (مت ٢٦: ٢٦)!

ينطوي سرُّ الإفخارستيا على موت المسيح الخلاصي الوثيق الصِّلة بقيامته المُحيية، فاشتراكنا في هذا السرِّ يوحِّدنا بالمسيح في سرِّ موته وقيامته: «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ ... فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ» (رو ٦: ٥ و٨)، ولأنه هو الآن حيٌّ ومُمجَّدٌ، فهو يقول لنا: «إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ ... **فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي**» (يو ١٤: ١٩؛ ٦: ٥٧).

وعندما نتناول من هذا السرِّ المقدَّس يتصوَّر المسيح بالحقيقة فينا: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ» (غل ٤: ١٩). إنها وحدةٌ روحية بيننا وبين المسيح بواسطة رباط الحبِّ الناري: «مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ» (١كو ٦: ١٧).

---

(4) Church History, Ph. Schaff, Vol. I, p. 472.

وطالما أنَّ الإفخارستيا هي وليمتنا المقدَّسة، فجميع الفوائد التي تحصل عليها أجسادنا من الخبز والخمر (عصير الكرمة)، لتُبقي على حياتها ونموِّها وصحتها ومسرَّتها؛ تحصل عليها أرواحنا من جسد الربِّ ودمه في هذا السرِّ المقدَّس. فهو:

أولًا: يعضد وينمِّي الحياة الروحية للنَّفْس بواسطة النعمة واشتعال لهيب المحبة.

ثانيًا: يُجدِّد الصحة الروحية، فهو السرُّ الكنسي الخاص بالأحياء في المسيح، وينبغي أن يتناول منه الإنسان وهو في حالة النعمة بالتوبة والتعلُّق بالربِّ بميولٍ روحيَّة إيجابية. كما إنه يغفر الخطايا التي يشعر المُتناول بالندم عليها.

ثالثًا: إنه أقوى ترياق للشوائب اليومية ويحفظ من الخطية، ويُساعدنا على التغلُّب على التجارب، ويُنقِص من هياج الشهوات، وهذا قد اختبره الأتقياء، ولا سيَّما فيما يتعلق بالطهارة.

رابعًا: إنه الخبز السماوي الذي يحتوي على كلِّ مسرَّة، ولا سيَّما البهجة الروحيَّة التي تختبرها النفوس المُكرَّسة للرب.

خامسًا: في هذا السرِّ نتَّحد بأعضاء جسد الرب الذين انتقلوا والذين لا زالوا في الجسد: «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ (أو "خبزة واحدة") جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١كو ١٠: ١٧)، لأننا جميعًا نتَّحد بالمسيح الواحد! ولذلك فقد طلب الربُّ أثناء اجتماعه بتلاميذه في العشاء الربَّاني من الآب قائلًا: «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا ... لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا» (يو ١٧: ٢١). كما نُلاحظ أن تأسيس هذا السرِّ كان مصحوبًا بناموس المحبة الأخويَّة الجديد (يو ١٣: ٣٤ و٣٥). وإذ نُشارك في موت الربِّ وقيامته، فهو بذلك «يَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ» (يو ١١: ٥٢).

والقدِّيس إيرينيئوس يقول: إنَّ التناول من السرِّ المقدَّس يُقوِّي النفس والجسد إلى حياةٍ أبديَّة، فهو أصل أو بذرة جسد القيامة. **والقدِّيس كبريانوس** يرى أنَّ مَزْج الخمر بالماء رمزٌ لاتِّحاد المسيح بكنيسته. ولذلك فهو يَعتَبِر أن هذا المَزْج أساسي (انظر: رسالة ٦٣: ١٣)، كما إنه يرى أن الاشتراك بالتناول من الإفخارستيَّا لا غِنًى عنه للخلاص، وذلك بناءً على الآية: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ» (يو ٦: ٥٣)! **والقدِّيس كليمندس الإسكندري** يرى أنَّ الذي يشرب دم المسيح، ينال حياة المسيح، إذ إنَّ الدم – في الحقيقة – هو حياة الجسد!

ها هي أمُّنا الكنيسة تُغذِّينا في كلِّ قدَّاس. ونحن لا نأكل ببساطة جسد إنسانٍ عادي لا ينفعنا في شيء، ولكن نأكل الجسد الإلهي المُحيي، إذ إنَّ الله تجسَّد وصار إنسانًا، فصار هذا الجسد المُحيي مُعطيًا الحياة لمَنْ يتناوله. ليس أنه يُغيِّرنا إلى طبيعة الله، بل إن ذلك – كما يقول الآباء – يُشبه الحديد المُحمَّى بالنار، فالحديد يظلُّ حديدًا، ولكن تصدر منه حرارة النار؛ هكذا أيضًا فإنَّ جسد الربِّ هو مُعطي حياة لأنه جسد كلمة الله! ولكي يُظهِر الربُّ الفرق بين الظِّلِّ والنور وبين الرمز والحقيقة، قال: «لَيْسَ كَمَا أَكَلَ آبَاؤُكُمُ الْمَنَّ وَمَاتُوا. مَنْ يَأْكُلْ هذَا الْخُبْزَ فَإِنَّهُ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ» (يو ٦: ٥٨). وهنا يقول **القدِّيس أُغسطينوس**: [قوله: "وماتوا"، ينبغي أن يُفهَم أنه يقصد أنهم ليست لهم حياةٌ أبديَّة، لأنه حتى الذين يأكلون المسيح في هذه الحياة سيموتون، ولكنهم سيحيون إلى الأبد، لأن المسيح هو الحياة الأبديَّة][٥].

---

(5) Tractate, 26 in John.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

الأجبية

كتاب السَّبع صلوات النَّهاريَّة واللَّيليَّة

المزامير (السَّبعينيَّة) والأناجيل مُترجمة عن اليونانيَّة

مع المُقارنة بالتَّرجمة القبطية البحيرية

(مع صلوات متنوِّعة، وشَرْح للقدِّيس أثناسيوس الرسولي

للطريقة التي ينبغي بها لنا أن نُصلِّي المزامير)

والكتاب ٢٣٢ صفحة (من القَطْع الصغير)

****

بمناسبة
الجمعة العظيمة

موت المسيح على الصليب

عند القدِّيس أثناسيوس الرسولي

في إطار معنى الخلاص[1]

كان همُّ أثناسيوس الذي يُحرِّك فكره وقلمه في بداية حياته، أن يُثبت للوثنيين حتميَّة تجسُّد "كلمة الله" لتكميل خلاص الإنسان. لذلك فالبؤرة التي كانت تجمع كلَّ أفكار أثناسيوس وتشعُّها لم تكن الصليب، بل التجسُّد. ولكن بطبيعة الحال، لم يَغِبْ عن أثناسيوس ولا إلى لحظةٍ واحدة، أنَّ هذا التجسُّد غايته الأُولى هي خلاص الإنسان، هذا الخلاص الذي يستحيل أن يتمَّ إلَّا بموت المسيح.

فالإنسان أقحم نفسه في دائرة الموت متورِّطًا في التعدِّي، فوقع تحت حُكْم الموت. ولذلك أصبح تكميل الحُكْم بالموت على كلِّ إنسانٍ أمرًا حتميًّا، وهذا أكمله المسيح في نفسه عن كلِّ إنسان!! ويُلاحِظ القارئ هنا، ربط الخطية بالموت والخلاص الذي يُقدِّمه أثناسيوس بمنتهى الوضوح والتسلسُل اللاهوتي:

[وأرسل (الله) ابنه الخاص، وهذا باتِّخاذه لنفسه جسدًا من خليقته، فصار ابنًا للإنسان. وبينما الكلُّ ساقطٌ تحت حُكْم الموت، إلَّا أنه بسبب كونه غير هؤلاء جميعًا، وقد قدَّم للموت جسده الخاص؛ صار الكلُّ فيه وكأنهم ماتوا جميعًا. وهكذا كملت الكلمة القائلة: "لأن الكلَّ مات في المسيح" (٢كو ٥: ١٤). **والكلُّ أصبح فيه أحرارًا من الخطية، ومبرَّئين من اللعنة التي أتت على الجسد، إذ يقومون من الموت لابسين عدم الموت في غير فسادٍ ليدوموا إلى الأبد.**

لأن الكلمة لمَّا لَبِس الجسد، صارت كلُّ عضَّة للحيَّة عديمة الفاعلية، إذ أوقف مفعولها نهائيًّا منه؛ بل وكلُّ شرٍّ ناتج من حركة الجسد انقطع تيَّاره في

---

(١) من كتاب: "حقبة مضيئة في تاريخ مصر – القدِّيس أثناسيوس الرسولي"، للأب متى المسكين، الطبعة الخامسة: ٢٠١٧، من ص ٤٩٦ – ٥٠٠.

الحال. ومع هذا وذاك، أبطل مفعول الموت الذي هو رفيق الخطية، كما قال الربُّ نفسه: «لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ» (يو ١٤: ٣٠)، وأيضًا: «لأَجْلِ هذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ» (١يو ٣: ٨). **ولمَّا أُبطِلَت ونُقِضَت هذه من الجسد؛ تحرَّرنا جميعًا بالتالي بسبب قرابتنا واتِّصالنا بهذا "الجسد"، وصِرنا متَّحدين بالكلمة، خاصةً من جهة المستقبل]**[٢].

وهنا يهمُّنا جدًّا أن نُنبِّه القارئ، أنَّ أثناسيوس وإن كان يُركِّز بشدَّة على حقيقة الموت ذاته كعلَّة الهلاك والفساد، ويُصوِّب الخلاص الذي أكمله المسيح على إلغاء وإبادة الموت؛ إلَّا أنَّ أثناسيوس لا يغفل إطلاقًا مفهوم الخطية باعتبارها العِلَّة المؤدِّية للموت.

ونحن نختلف تمامًا مع العالِم اللاهوتي أرشيبلد روبرتسن[٣] في قوله إن أثناسيوس لم يتغلغل إلى المعنى العميق الذي وصل إليه بولس الرسول في ربط الخطية بالموت بالخلاص في قوله: «لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ (أي بسبب ضعف الجسد **البشري**)، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ» (رو ٨: ٣و٤).

لأن القول السابق لأثناسيوس فيه كل الكفاية لردِّ هذه التُّهمة عن أثناسيوس، علمًا بأنَّ أثناسيوس، ابن الثلاث والعشرين سنة، لم يكتب كتابه هذا: "تجسُّد الكلمة"، ليعظ المسيحيين ويُرشدهم إلى مفهوم الخلاص؛ بل كتبه إلى الوثنيين ليُثبِت لهم أهمية التجسُّد، باعتباره وسيلةً وأداةً لإبادة الموت كعقوبة، حيث تأتي الخطية في هذا الحوار في الدرجة الثانية بعد التجسُّد من جهة غرض الكاتب.

وأيضًا نُكرِّر ما سبق أن قلناه (بفم القدِّيس أثناسيوس):

[ولكن لمَّا كان ضروريًّا أيضًا أن يُوفي الدَّين الذي استحقَّ على الجميع، لأن الجميع استحقُّوا الموت (بسبب الخطية)، الأمر الذي من أجله ـ وكسببٍ جوهري حقيقي ـ أتى المسيح بيننا؛ لأجل هذا بعد أن قدَّم براهين كثيرة عن

---

(2) Athanas., *Contra Arian, against Ar*. II. 69. NPNF, Series II, vol. 4. p. 386.

(3) NPNF., Ser. II, vol. IV. p. lxx.

لاهوته بواسطة أعماله، قدَّم "ذبيحة نفسه" أيضًا عن الجميع؛ وإذ سلَّم هيكله للموت عِوَضًا عن الجميع، أولًا لكي يُحرِّر البشرية من معصيتهم القديمة، وثانيًا لكي يُظهِر أنه أقوى من الموت، وذلك بإظهار أن جسده عديم الفساد، وقد صار هو كباكورة لقيامة الجميع ...

وهكذا أَكمَلَ (المسيح) عَمَلَين عجيبين بآنٍ واحد: **الأول: تكميل موت الجميع في جسد الرب؛ والثاني: قضاؤه على الموت والفساد كُلِّيةً بسبب اتِّحاد "الكلمة" بالجسد. لأنه كان لا بد من الموت، وكان لا بد أن يُتمِّم الموت نيابةً عن الجميع، لكي يوفي الدَّين المُستحق على الجميع]**[٤]**.**

وهكذا يوضِّح القدِّيس أثناسيوس ويُؤسِّس بقوةٍ ومنطقٍ لا يُجارَى، كيف كان لا بد أنْ يموت الإنسان! وكيف أنَّ المسيح كمُخلِّص مات عن الجميع ليوفي العقوبة! وإذ وفَّى العقوبة بموته، ألغى الموت ذاته كعقابٍ أو كعَرَضٍ من أعراض الفساد اللاحق أساسًا باللعنة:

[والآن إذ مات عنَّا **"مخلِّص الجميع"، فإننا نحن الذين نؤمن بالمسيح لا نموت بعد ـ بذات العقاب ـ الذي كانوا يموتون به سابقًا باستحقاقٍ حسب وعيد الناموس، لأن هذا الحُكْم قد بطل. ولكن إذ بطل الفساد وأُبيد بنعمة القيامة؛ من أجل ذلك، نحن فقط ننحلُّ بالموت الذي بحسب طبيعة أجسادنا المُنحلَّة بالموت في الميعاد الذي يُحدِّده الله لكلِّ واحد، حتى نصير قادرين أن نفوز بقيامةٍ أفضل]**[٥]**.**

وهنا أيضًا يلزمنا أن ننتبه إلى وجهة نظر أثناسيوس في تركيزه الشديد على الموت الذي احتمله المسيح بالجسد كوسيلة الخلاص الأُولى والعظمى.

فأثناسيوس يرى أنَّ الموت الذي جازه المسيح بالجسد، استنفد كلَّ قوة الموت وسلطانه الذي كان واقعًا ضد الطبيعة البشرية عامةً:

[وهكذا إذ أَخَذَ من أجسادنا جسدًا من ذات طبيعتها، ولمَّا كان الجميع تحت عقوبة فساد الموت؛ قدَّم جسده للموت عِوَضًا عن الجميع وقدَّمه (ذبيحة)

---

(4) *De Incar.*, 20:2,5., NPNF, Ser. II, vol. IV, p. 47.

(5) Ibid. 21:1., N.P.N.F, ser. II, vol. IV, p. 47.

للآب. وبهذا قد أبطل **أولًا** الناموس الذي كان يقضي بهلاك الإنسان (المُتعدِّي)، وذلك بأن اعتبر أنَّ الجميع ماتوا بموت المسيح، لأن سلطان الموت **قد أُكمِلَ (استنفد تمامًا) في جسد الرب:**

πληρωθείσης τῆς ἐξουσίας ἐν τῷ κυριακῷ σώματι.

فلم يَعُد له أساس يمسك فيه داخلنا، نحن الذين صرنا نُظراءه، لأنه ناب عنَّا. **وثانيًا** لأن البشرية انحدرت إلى الفساد، استطاع أن يعود بها نحو عدم الفساد، ويُحييها من الموت بامتلاك جسده وبنعمة القيامة ـ التي فيه ـ ليُبطِل (حُكْم) الموت منهما (أي من جسده الخاص ومن البشرية)][6].

وبهذا التصوير الذي بلغ غاية الدقَّة والإبداع، ينتهي أثناسيوس من تأكيد مُلاشاة الفساد والموت من طبيعة الإنسان كعدوٍّ تُرِكَ له العنان مدى الدهر، ليجري وراء الإنسان ويجري بلا رادع حتى يصطدم أخيرًا بقوَّةٍ عُظمَى تبتلعه وتوقِف استمراره!

والخلاص الذي حازه الإنسان من (إبادة) الموت والفساد هو – في الحقيقة – انتصارٌ ساحق تمَّمه المسيح لنا بثمنٍ باهظ، وهو قبوله القصاص واللعنة والموت في جسده (الخاص)، وهو القدوس الرقيق اللطيف الذي بلا عيبٍ ولا غشٍّ ولا خطيئة قط، حيث كانت القيامة إعلانًا نهائيًّا عن هذا الانتصار.

لذلك فموت المسيح، يعتبره أثناسيوس أصل ورأس ومبدأ الحياة لنا = ἀρχὴν ζωῆς:

[لأنه بذبيحة جسده، وَضَعَ حدًّا لحُكْم (الموت) الذي كان قائمًا ضدًّا لنا، ووَضَعَ لنا مبدأ الحياة = ἀρχὴν ζωῆς برجاء القيامة من بين الأموات الذي أعطاه لنا.

لأنه إن كان بإنسانٍ (آدم) قد ساد الموت على البشر؛ لهذا السبب، بتأنُّس كلمة الله، أُبطِلَ الموت وتمَّت قيامة الحياة: «فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ. لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ» (١كو ١٥: ٢١و٢٢). ونحن الآن لا نموت بعد تحت الدينونة، بل كأُناسٍ يقومون من الموت، ننتظر القيامة العامة للجميع التي سيُعيِّنها في وقتها الله الذي تمَّمها والذي وهبنا إيَّاها][7].

---

(6) *Incar*., 8.4., N.P.N.F, ser. II, vol. IV, p. 40.

(7) Ibid. 10:5, N.P.N.F, ser. II, vol. IV, p. 41.

ويبلور القدِّيس أثناسيوس العلاقة بين القيامة وبين نهاية الفساد الذي ألمَّ بالإنسان هكذا:

[ويصبحون عديمي الفساد بفضل القيامة = ἄφθαρτοι διὰ τῆς ἀναστάσεως][٨].

أمَّا دور الصليب كسلاح الانتصار على الموت، فيُقدِّمه لنا القدِّيس أثناسيوس بغاية الوضوح هكذا:

[فإن كان تلاميذ الرب يحتقرون الموت ويتحدّونه ولا يعودون يخشونه، بل **بعلامة الصليب وبالإيمان بالمسيح، يدوسونه كميت ...** فهذا برهانٌ غير قليل، بل هو بيِّنة واضحة على أنَّ **الموت قد أُبيد، وأنَّ بالصليب صارت النُّصرة** عليه، **وبالصليب لم يَعُد للموت سلطانٌ بل قد مات موتًا حقيقيًّا.**

لأن كلَّ الذين يؤمنون بالمسيح، يدوسونه (أي الموت) كأنه لا شيء؛ بل ويُفضِّلون أن يموتوا عن أن ينكروا إيمانهم بالمسيح، لأنهم يعلمون يقينًا أنهم عندما يموتون لا يهلكون؛ **بل يبدأون الحياة فعلًا، ويصبحون عديمي الفساد بفضل القيامة ...**

كذلك فالموت قد قهره المُخلِّص، وشهَّرَ به على الصليب، وأوثق يديه ورجليه][٩]!!

[فإن كانت **الشياطين** قد اعترفت به، وأعماله شَهَدَت له، فلا ينبغي أن يتصلَّف أحدٌ ضد الحق. **إنَّ المُخلِّص أقام جسده،** الذي في الأزمنة الأخيرة اتَّخذ جسدًا لخلاص الجميع، وعرَّف العالم عن الآب، وأبطل الموت، ووهب الكلَّ عدم الفساد بموعد القيامة؛ **إذ أقام جسده،** كباكورةٍ لهذا (لعدم الفساد)، **وأَظهَره** (أي أَظهَر جسده بعد القيامة) كعلامة الظفر على الموت وفساده بواسطة الصليب][١٠].

(8) Ibid. 27.2.

(9) Ibid. 27, 1,2,4, NPNF., Ser. II, vol. IV, p. 51.

(10) Ibid. 32.6, NPNF., Ser. II, vol. IV, p. 53.

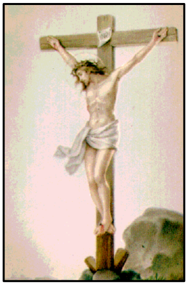

تأملات

في تدبير الخلاص

قصة "عماليق" وتدبير الخلاص

صراعٌ بين توأمين: "يعقوب" و"عيسو":

تبدأ قصة "عماليق" من بطن رفقة زوجة إسحق، عندما كان في بطنها توأمان: "يعقوب" و"عيسو"، وبالتالي سوف يأتي منهما شعبان يفترقان، شعب سيقوى على شعبٍ (تك ٢٥: ٢٣ – ٢٦). فيعقوب يُمثِّل الإنسان الذي يطلب الله ويلتمس بركته (تك ٢٥: ٢٧)؛ أمَّا عيسو فيُمثِّل الإنسان المُجتهد الذي يعيش في العالم يعمل بجدٍّ واجتهاد في حياته، أمَّا الله فهو خارج عن حساباته، فهو يريد أن يعمل ويأكل فقط لأنه غدًا سوف يموت (تك ٢٥: ٣٢). فمن بطن رفقة بدأ هذا الصراع بين يعقوب وعيسو، بين أولاد الله وأولاد العالم. لقد بدأت الحرب بينهما، ولن تنتهي الحرب الروحيَّة بين كلِّ مَنْ هو لله ومَنْ هو للعالم، ف «لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ» (خر ١٧: ١٦).

فلكي نتعرَّف على نشأة ومراحل تطوُّر هذا الشعب (عماليق)، فإننا نجد أن ابن عيسو البِكْر وهو "أليفاز" قد تزوَّج من جارية وأنجب منها ابنًا ودُعِيَ اسمه "عماليق" (تك ٣٦: ١٢). ومعنى كلمة "عماليق": "شعب يلحس أو يلعَق"، أي شعب يُريد أن يلتهم ويُبيد الذي أمامه. أمَّا عيسو الذي يُسمَّى أيضًا "أدوم" (تك ٣٦: ٨)، فهو يُعتبَر الجَدَّ الأكبر لعماليق. فعماليق هم أصلًا أدوميُّون، أي من نسل عيسو. وكلُّ سِفْر عوبديا يحكي ويتكلَّم عن الأدوميين وحربهم مع بني إسرائيل، ويتكلَّم عن سبط **"بنيامين"** بالذات الذي سوف يرث جلعاد (عوبديا ١: ١٩). وهذا الأمر ليس مُصادفةً، إذ أخيرًا سيكون الخلاص على جبل صهيون والمُلْك للرب (عو ١: ٢١). كما إنَّ بعض الأبحاث التاريخية تُشير بأن الإمبراطورية الرومانية سيطرت على شعوبٍ تُعتبَر امتدادًا لهذا الشعب الذي اختلط بالأمم، وخاصةً بنسل إسماعيل (تك ٣٦: ٩ – ١٤). وهذا يتَّضح من التمثال الذي شاهده الملك نبوخذنصَّر في حلمه الذي ذُكِر في سِفْر دانيال، حيث إنه يُشير إلى أربع ممالك، والمملكة الأخيرة تُشير

إلى المملكة الرومانية، حيث إنَّ ساقَي التمثال من الحديد الذي يتميَّز بقوَّته الشديدة. ومن المعروف مدى قوة وبطش المملكة الرومانيَّة. أمَّا قدما التمثال فبعضهما من حديد والبعض الآخر من خزف، وهو يرمز إلى امتزاج نسل الأدوميين مع الأُمم الأخرى ومع نسل إسماعيل، وفي نفس الوقت هما لا يتلاصقان (دا ٢: ٤١ – ٤٣).

بدأ الصراع بين يعقوب وعيسو، حينما أَخَذَ يعقوب البركة من أبيه إسحق، وبعد ذلك هرب إلى خاله لابان (تك ٢٩: ١٣). وعندما أراد يعقوب أنْ يرجع مرَّةً أخرى إلى أرضه وإلى أبيه، قابله عيسو ومعه أربعمائة رجل «فَقَسَمَ الأَوْلاَدَ عَلَى لَيْئَةَ وَعَلَى رَاحِيلَ وَعَلَى الْجَارِيَتَيْنِ. وَوَضَعَ الْجَارِيَتَيْنِ وَأَولاَدَهُمَا أَوَّلًا، وَلَيْئَةَ وَأَوْلاَدَهَا وَرَاءَهُمْ، وَرَاحِيلَ وَيُوسُفَ أَخِيرًا. وَأَمَّا هُوَ فَاجْتَازَ قُدَّامَهُمْ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ سَبْعَ مَرَّاتٍ حَتَّى اقْتَرَبَ إِلَى أَخِيهِ ...» (تك ٣٣: ١ – ٨). نُلاحظ هنا أنَّ آخر أولاد يعقوب الذين سجدوا لعيسو هو "يوسف"، والوحيد في أولاد يعقوب الذي لم يسجد لعيسو هو **"بنيامين"،** اذ كان لم يُولَد بعد. وهذه أول إشارة أنَّ أولاد راحيل هم الذين لم يخضعوا لعيسو وخاصةً بنيامين. فمنذ ذلك الحين، فإنَّ كلَّ مواجهة بين نسل يعقوب أو بني إسرائيل مع بني عيسو أو أدوم أو عماليق، يظهر أمامهم أولاد راحيل للتصدِّي لهم.

«لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ»:

فأول ذِكْر لحرب بني إسرائيل مع عماليق، الذين هم أحفاد جدِّهم الأكبر عيسو، كان بعد خروجهم من أرض مصر، من أرض العبودية (خر ١٧: ٨ – ١٦). فبعد أن ضرب الربُّ مصر بالضربات العشر وغرق فرعون ومركباته في البحر الأحمر، ظهر عماليق لبني إسرائيل في بريَّة سيناء في أرضٍ تُدعَى "رفيديم" التي تعني: "ارتخاء اليدين". فكان من الممكن أن يُدافع الربُّ عنهم، كما فعل بفرعون وجنوده (خر ١٤: ١٣ – ١٤)؛ إلَّا أنه أَمَرَ موسى أن ينتخب رجالًا من بني إسرائيل ليُحاربوا عماليق. وهنا كان أول ظهور ليشوع بن نون الذي من سبط أفرايم بن يوسف من **أولاد راحيل** (عد ١٣: ٨). فيشوع بن نون هو الذي قاد الحرب ضد عماليق؛ أمَّا موسى النبي الذي كان من سبط لاوي (خر ٢: ١ – ٢، ١٠)، فصعد على رأس التلَّة ليُصلِّي وعصا الله في يده، «... وَكَانَ إِذَا رَفَعَ مُوسَى يَدَهُ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَغْلِبُ، وَإِذَا خَفَضَ يَدَهُ أَنَّ عَمَالِيقَ يَغْلِبُ ...» (خر ١٧: ٨ – ١١)، حيث إنَّ مكان الحرب يُدعى "رفيديم" أي "ارتخاء اليدين".

وتتوالى الأحداث، ويظهر عماليق مرَّةً أخرى في سِفْر القضاة (قض ٣: ١٢ – ١٣)، حينما تحالف الملك عجلون ملك موآب مع بني عمون **وعماليق** ضد بني إسرائيل، فلمَّا «صَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، فَأَقَامَ لَهُمُ الرَّبُّ مُخَلِّصًا إِهُودَ بْنَ جِيرَا **الْبَنْيَامِينِيَّ**» (قض ٣: ١٥)، وهو أيضًا من أولاد راحيل. ثم تتتابع الأحداث حتى جاء صموئيل النبي، وعندما طلب منه شعب بني إسرائيل أن يُقيم لهم مَلِكًا، أقام لهم الربُّ شاولَ وهو من سبط **بنيامين** (١صم ٩: ٢١)، أي من أولاد راحيل. ولم يختر لهم مَلِكًا من سبط يهوذا، بالرغم من نبوءة يعقوب لهذا السبط قبل وفاته، حيث «... لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ ...» (تك ٤٩: ٨ – ١٢).

وكانت رسالة الربِّ إلى شاول الملك، عن طريق صموئيل النبي، أن يُحارب **عماليق** ويقتل ملكهم الذي كان يُطلَق عليه الملك أجاج، وهو اللَّقب الذي يُطلَق على أيِّ ملك من عماليق، أي "**الأجاجي**" (عد ٢٤: ٧؛ ١صم ١٥: ٨). وعندما رفض شاول المَلِكُ أن يُنفِّذ هذه الوصية، رفضه الرب من المُلْك (١صم ١٥: ١٧ – ٢٣). وأيضًا فإنَّ الذي قَتَلَ كهنة الربِّ في أيام شاول هو دوَّاغ **الأدومي** (من نسل عيسو) (١صم ٢٢: ١٧ – ١٨). وحتى الذي فرح وأبلغ داود النبي عن موت شاول الملك كان رجلًا من عماليق (٢صم ١: ٨). فهل هذا أيضًا مُصادفة؟

مردخاي وهامان والخشبة:

وتستمر الأحداث تتوالى، حتى يظهر في قصة أستير هامان بن همداثا **الأجاجي** (أس ٣: ١) الذي يحمل لقب الملك أجاج من **عماليق،** وهو أيضًا من أحفادهم حيث أبغض مردخاي (أس ٣: ٥ – ٦). وعندما عرف هامان أنَّ مردخاي من شعب بني إسرائيل، طلب من أحشويروش الملك أن يُصدر أمرًا بإبادة اليهود الذين في كلِّ بلاد الملك (أس ٣: ٨ – ١١). والعجيب أنَّ مردخاي من سبط **بنيامين،** وأستير أيضًا من سبط **بنيامين** من أولاد راحيل (أس ٢: ٥ – ٧). فهذه ليست مصادفة، ولكن «لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ». فكلما يظهر عماليق نتيجة تراخي أيادي الشعب وتفرُّقه، يظهر أيضًا أولاد راحيل. لذلك طلبت أستير من مردخاي أن يتوحَّد الشعب ويُصلُّوا مثلما فعل موسى عندما رفع يديه للصلاة لكي يغلب إسرائيل عماليق (أس ٤: ١٦). ونُلاحظ هنا في هذه القصة، رغبة هامان في صَلْب مردخاي على الخشبة التي أعدَّها له، وكيف حوَّل الربُّ الأمر لصالح شعبه؛ إذ صُلِبَ هامان على نفس الخشبة التي أعدَّها لمردخاي (أس ٧: ٩ – ١٠).

ظهور الإمبراطورية الرومانية، وولادة المسيح بحسب الجسد:

وبمرور الزمان، ظهرت الإمبراطورية الرومانية التي سيطرت على شعوبٍ كثيرة مثل: الأدوميين، وكذلك شعب إسرائيل؛ حتى جاء ملء الزمان ووُلِدَ الرب يسوع بالجسد من العذراء مريم. والعجيب أنَّ ولادة المسيح كانت في أيام هيرودس **الأدومي**، أي الذي من نسل عماليق الذي يُبغض دائمًا نسل بني إسرائيل. وهنا يُذكِّرنا القدِّيس متَّى البشير بالآية التي تقول: «صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ» (مت ٢: ١٨). وهنا أيضًا نتذكَّر أولاد راحيل، فكما انتصر يشوع بن نون في أول حرب مع عماليق عندما كان يرفع موسى يديه للصلاة وهو على الجبل؛ هكذا عندما رفع المسيح يديه على خشبة الصليب وقال: «قَدْ أُكْمِلَ» (يو ١٩: ٣٠)، لكي تنتهي الحرب مع عماليق. فالحرب الأولى التي بدأت في سِفْر الخروج، تُختتم بآية تقول: «إِنَّ الْيَدَ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ. لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ» (خر ١٧: ١٦). هذه الآية في الأصل العبري بها إشارة سرِّيَّة توضِّح أنَّ الحرب مع عماليق لم تنتهِ بعد، فهي من دورٍ إلى دور، حتى يأتي المسيَّا الذي يبسط يديه ويهزم عماليق: «مَنْ ذَا الآتِي مِنْ أَدُومَ، بِثِيَابٍ حُمْرٍ مِنْ بُصْرَةَ؟ هذَا الْبَهِيُّ بِمَلاَبِسِهِ، الْمُتَعَظِّمُ بِكَثْرَةِ قُوَّتِهِ. أَنَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبِرِّ، الْعَظِيمُ لِلْخَلاَصِ» (إش ٦٣: ١).

لذلك تُرتِّب الكنيسة في صلاة الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة، وقت الصَّلْب، لحن: **ⲡⲉⲕ̀ⲑⲣⲟⲛⲟⲥ** أي "كرسيك" يا الله. وأيضًا خلال ساعات يوم الجمعة العظيمة تُقرأ نبوَّات كثيرة، منها: مُباركة يعقوب لأولاد يوسف بن راحيل (منسَّى وأفرايم)، عندما وَضَعَ يديه على رأسَي أفرايم ومنسَّى على هيئة صليب (تك ٤٨: ١٤ – ١٥). وكذلك أَمْر الرب لموسى أن يصنع حيَّة نُحاسيَّة ويرفعها على سارية، حتَّى إذا لدغت حيَّة مُحرقة إنسانًا وينظر إلى الحيَّة النُّحاسيَّة يحيا (عدد ٢١: ١ – ٩؛ يو ٣: ١٤، ١٥). وأيضًا تُقرأ نبوَّة ذَبْح خروف الفصح، ورشّ دمه على العتبة العُليا والقائمتين في البيوت التي يأكلون فيها خروف الفصح (خر ١٢: ١ – ٧). فكما دخل الموت إلى العالم بمدِّ اليد نحو شجرة معرفة الخير والشر؛ هكذا نلنا الخلاص والحياة مرَّةً أخرى بمدِّ يدَي المسيح على خشبة الصليب. حيث إنَّ كلمة "شجرة" و"خشبة" في اللُّغة العبرية هي كلمة واحدة.

اختيار الرب لشاول الطرسوسي من سبط بنيامين ليُبشِّر الأمم:

بعد قيامة المسيح من بين الأموات، تحوَّلت الحرب مع عماليق – بصورةٍ أخرى – حيث اختار الرب شاول الطرسوسي من سبط **بنيامين** (في ٣: ٥)، لكي يُبشِّر مدن الإمبراطورية

الرومانية، دون كلِّ رُسُل وتلاميذ المسيح. وهذا ليس من قبيل الصُّدف أن يكون شاول أيضًا من هذا السبط من أولاد راحيل. ولكن في هذه المرة اختاره الرب، لا لكي يُحارب عماليق، ولكن لكي يُبشِّر ضمن مَنْ يُبشِّرهم شعب عماليق أولاد عيسو الذين يندرجون تحت حُكْم الإمبراطورية الرومانية؛ حيث استطاع بولس الرسول أن يُبشِّر في مدن الإمبراطورية، وأخيرًا رَفَع دعواه إلى قيصر لكي يقف أمامه في روما عاصمة الإمبراطورية (أع ٢٦: ٣٢).

وبعد مرور السنين، تحوَّلت الإمبراطورية الرومانية التي كانت تُحارب المسيحيين وتضطهدهم، لتصبح الديانة الرسمية فيها هي المسيحية والتي تُبشِّر بالمسيح في جميع أنحاء العالم. ولنا ثقة – حسب وعد الله – أنه بمرور الأيام تنتهي الحروب، لأننا في نظر اليهود الحاليين نُعتَبَر – نحن المؤمنين – من الأمم امتدادًا لنسل عيسو، حتى يعود بنو إسرائيل للربِّ ويؤمنون بالمخلِّص، وحينئذ يصطلح أولاد يعقوب مع أولاد عيسو لكي يكونوا شعبًا واحدًا في المسيح يسوع.

المسيَّا من سبط يهوذا بحسب الجسد،
ويوسف هو رمزٌ لشخص المسيح في حياته على الأرض:

وهنا يتبقَّى سؤال أخير: لماذا لم يأتِ الربُّ من أولاد راحيل، ولكنه بحسب الجسد أتى من سبط يهوذا. والإجابة على هذا التساؤل: تتضَّح في رؤيا حزقيال النبي (حز ٣٧: ١٥ – ٢٢)، حينما قال الربُّ لحزقيال النبي: «وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، خُذْ لِنَفْسِكَ عَصًا وَاحِدَةً وَاكْتُبْ عَلَيْهَا: لِيَهُوذَا وَلِبَنِي إِسْرَائِيلَ رُفَقَائِهِ. وَخُذْ عَصًا أُخْرَى وَاكْتُبْ عَلَيْهَا: لِيُوسُفَ، عَصَا أَفْرَايِمَ وَكُلِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ رُفَقَائِهِ. وَاقْرِنْهُمَا الْوَاحِدَةَ بِالأُخْرَى كَعَصًا وَاحِدَةٍ، فَتَصِيرَا وَاحِدَةً فِي يَدِكَ. فَإِذَا كَلَّمَكَ أَبْنَاءُ شَعْبِكَ قَائِلِينَ: أَمَا تُخْبِرُنَا مَا لَكَ وَهذَا؟ فَقُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا آخُذُ عَصَا يُوسُفَ الَّتِي فِي يَدِ أَفْرَايِمَ وَأَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ رُفَقَاءَهُ، وَأَضُمُّ إِلَيْهَا عَصَا يَهُوذَا، وَأَجْعَلُهُمْ عَصًا وَاحِدَةً فَيَصِيرُونَ وَاحِدَةً فِي يَدِي. وَتَكُونُ الْعَصَوَانِ اللَّتَانِ كَتَبْتَ عَلَيْهِمَا فِي يَدِكَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ. وَقُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا آخُذُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ الَّتِي ذَهَبُوا إِلَيْهَا، وَأَجْمَعُهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَآتِي بِهِمْ إِلَى أَرْضِهِمْ، وَأُصَيِّرُهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الأَرْضِ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ، وَمَلِكٌ وَاحِدٌ يَكُونُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ، وَلاَ يَكُونُونَ بَعْدُ أُمَّتَيْنِ، وَلاَ يَنْقَسِمُونَ بَعْدُ إِلَى مَمْلَكَتَيْنِ».

فالتقليد اليهودي يؤمن بأن المسيَّا الذي سوف يأتي (بحسب اعتقادهم)، هو من

سبط يهوذا بحسب الجسد؛ وفي نفس الوقت، فإنَّ يوسف بن يعقوب هو رمزٌ لشخص المسيح **مخلِّص العالم** (يو ٤: ٤٢)؛ فقد «دَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ ”صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ“ (أي ”**مخلِّص العالم**“)» (تك ٤١: ٤٥).

كلُّ الأمور خاضعة للتدبير الإلهي:

وأخيرًا، نستنتج من توالي الأحداث أنَّ كلَّ شيء يحدث في الحياة يخضع للتدبير الإلهي، للربِّ القادر على كلِّ شيء والضابط الكل. فكلُّ الأحداث التاريخيَّة لا تحدث مُصادفةً، ولكنها تخضع **لتدبير الخلاص**. كما نجد أيضًا حكمة الله في تحويل الضعف إلى قوة، وهذا واضحٌ تمامًا في اختيار سبط بنيامين الأصغر في أسباط إسرائيل، كما إنه (بنيامين) هو الابن الوحيد من أبناء يعقوب الذي تغيَّر اسمه من ”ابن أوني“ أي ”ابن الحزن“ إلى بنيامين أي ”ابن اليمين“ أو ”ابن القوة“ (تك ٣٥: ١٨). كما اختار الله أيضًا داود بن يسَّى، وهو أصغر إخوته، ليصبح مَلِكًا (١صم ١٦: ١١). فالربُّ الإله يعرف ضعف طبيعتنا البشرية، ودائمًا يتعامل معها «وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ» (٢بط ٣: ٩)، وهو «يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (١تي ٢: ٤). فخلاصه الثمين مُقدَّمٌ لجميع الناس، ويتمتَّع بثماره الغنية جميع الذين يقبلون الرب يسوع **ربًّا ومُخلِّصًا**.

****

مات وأحيانا

للقدِّيس غريغوريوس النزينزي

[إنه يبكي ولكنه يكفكف دموع الآخرين. إنه بِيْع وبأبخس ثمن، بثلاثين من الفضة فقط (مت ٢٦: ١٥)، ولكنه اشترى العالم كلَّه وبأغلى ثمن، بدم نفسه (١بط ١: ١٩)! كحَمَلٍ سِيقَ إلى الذبح (إش ٥٣: ٧)، ولكنه هو راعي إسرائيل (مز ٨٠: ١)، بل والمسكونة كلها! إنه كخروفٍ صامت (إش ٥٣: ٧)، ولكنه هو الكلمة ذاته! إنه «مَجْرُوحٌ ... مَسْحُوقٌ» (إش ٥٣: ٥)، ولكنه «يَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ» (مت ٤: ٢٣). لقد رُفِعَ على الخشبة وسُمِّر عليها، ولكنه يُقوِّمنا بشجرة الحياة. سقوه خلًّا وأطعموه المُرّ (مت ٢٧: ٣٤)، وهو الذي حوَّل الماء خمرًا طيِّبًا (يو ٢: ١-١١)، الذي أبطل طعم المرارة (خر ١٥: ٢٥؛ ٢مل ٤: ٤١)، الذي هو «حَلَاوَةٌ وَكُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ» (نش ٥: ١٦). لقد أَسلم نفسه، ولكن له سلطان أن يأخذها أيضًا (يو ١٠: ١٨). لقد مات، ولكنه أحيا الآخرين، وأبطل الموتَ بالموت. لقد قُبِرَ، ولكنه قام. لقد نزل إلى الجحيم، ولكنه رَفَعَ النفوس التي فيه وصَعِدَ بها إلى السماء]!

(عظة ٢٩: ٢٠)

****

ادخل
إلى
العمق

- ٥١ -

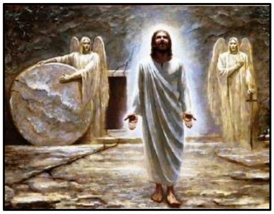

«مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ»

(مر ١٦: ٣)

- **«قَالَ يَسُوعُ: ارْفَعُوا الْحَجَرَ!» (يو ١١: ٣٩).**

تمهيد:

إنَّ فكرة الأبواب المُغلَّقة التي تواجه الإنسان في حياته، تُمثِّل أمرًا مُرعبًا ومُخيفًا له، فهي تُعبِّر عمَّا يدور بداخله من مشاعر الخَوف من المجهول، والخَوف من الأعداء والأيام الصَّعبة؛ بل ومن الأمراض والأخطار واحتمالات الفشل، وتُظهِر أيضًا ما في قلب الإنسان وفِكره من أحاسيس الخَوف من مخاطر قِلَّة الرِّزق وضيق الحال، والكثير من الخيالات والأوهام عن المستقبل المُظلِم الذي يُمكن أنْ يُواجهه!!

وهذه المخاوف والأوهام التي تجتاح فكر الإنسان – سواء التي يَفترضها لنفسه، أو التي يَضعها إبليس في داخله – تُعَدُّ بمثابة الحَجَر الهائل الرابض على باب قلب الإنسان وفِكره، التي تَجعله يحيا في ظلام خوفه ورُعبته **وقِلَّة إيمانه**، غير ناظرٍ لِمَا هو خَلف هذا الحَجر، وغير مُتَصَوِّر أو مؤمن لِمَا يُمكنه أنْ يراه لو تَدحرَج هذا الحَجر، من بصيص النور ورجاء الفَرَح.

فبينما المريمات ذاهبات إلى القبر بالأطياب والحنوط، ليُطيِّبنَ جسدَ الربِّ يسوع المُسجَّى داخل القبر، وهُنَّ مُنشغلات فيمَنْ يُدحرِج لَهُنَّ الحَجر عن باب القبر؛ كانت الملائكة قد سَبقوهُنَّ وأزاحوا الحجر عن فم القبر، إعلانًا عن قيامة الربِّ يسوع من بين الأموات، والتأهُّب لمُقابلة هؤلاء النِّسوة وتَحميلهنَّ برسالةٍ أخرى للتلاميذ، ببشارة القيامة المجيدة وانبثاق النور.

المسيح له القُدرة على تحطيم الأبواب المُغلَّقة وتجاوزها:

المسيح إلهنا إلهٌ حيٌّ، لا يُمكن أن تَحبسه القبور المُغلَقة: «اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، **إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ**» (أع ٢: ٢٤)؛ بل هو يَسكن في القلوب

الحَيَّة، لأنَّه هو القائل: «إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ» (يو ١٤: ١٩). لذلك، فنحن لنا كلُّ الإيمان والثقة في مسيحنا القائم من بين الأموات، أنَّه يستطيع أن يخترق كلَّ الأبواب المُغلَّقة في حياتنا، ويُعطينا السلام والفرح والنجاح والنُّصرة وقوَّةَ قيامته، لنَغلبَ نحن أيضًا خوفنا من تلك الأبواب المُغلَّقة؛ كما صنع مع تلاميذه في العليَّة، حينما دخل عليهم بعد قيامته، والأبواب مُغلَّقة، وهم في خِضَمِّ أمواج الرُّعبة والخوف والأفكار المُشتَّتة. فأعطاهم سلامه الإلهي، وبثَّ فيهم روح الفرح والسَّكينة التي غلبت كلَّ خوفهم، ورفعت عن عقولهم وقلوبهم ثِقَل حجر الخوف والشكّ وضعف الإيمان، ووهبتهم قوَّة القيامة التي استطاعوا بها استنشاق رائحة الحياة الجديدة، والاستنارة بنور القيامة العجيب: «فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ» (يو ٢٠: ٢٠).

كذلك، علينا أن نُدرِك ونَثِق أنَّ قيامة المسيح قد تَمَّت بقوَّة سلطانه الإلهي، بِغَضِّ النظر عن وجود الحَجر أو دَحرجته. فحقيقة القيامة، هي عملٌ إلهيٌّ فائق أَتمَّه المسيح، وبَقِيَ على كلِّ إنسانٍ يريد أن تُستَعلن له قيامة المسيح ويُدركها في حياته، أن يُدحرِج حَجر ضَعف الإيمان الجاثم على قلبه، وأنْ يَنبذ سلوكيَّات الإنسان العتيق، لكي يَنعَم باستعلان خبر القيامه وقوَّتها في حياته، وتَتجدَّد طبيعته بنورها، فيقدر أنْ يُعاين يسوع القائم من بين الأموات في حياته. وكما طلب الربُّ يسوع من الجموع أنْ يرفعوا الحَجر أولًا من باب قبر لعازر؛ هكذا أيضًا لَزِمَ على كلِّ إنسانٍ أن يُجاهد أولًا، ويرفع ويُزيح كلَّ عائقٍ في حياته – بمعونة الرب – يمنعه من مُعاينة قيامة الربِّ في حياته.

ماذا يعني دَحرجة الحَجر وانفتاح الأبواب في حياتنا؟

حينما أشرق نور المسيح على القدِّيس بولس الرسول، خلال سَفره إلى دمشق، أضاء له بنورٍ مُبهرٍ هزَّ كيانه، وكَسر كلَّ الأبواب المُغلَّقة في قلبه وحياته، كشاهدٍ على عمل قوَّة قيامة المسيح في حياة هذا الفرِّيسي المُتمرِّس، وعن سلطان تأثيرها لتغيير حياة هذا الرسول الكريم، وكمثال الزلزلة التي حدثت عند قيامة الربِّ يسوع من بين الأموات. فبعد أن غشي النور شاول الطرسوسي، اقتاد الله إليه حنانيَّا الرسول، الذي باركه وصلَّى عليه، فنزلت قشورٌ من عينيه، وحينئذٍ أبصر!! ولعلَّ في ذلك إشارة بليغة لزوال غشاوة التعصُّب والغيرة الممقوته، وكلِّ مظاهر الحياة الفرِّيسيَّة من حياته، وانفتاح أبواب قلبه وعينيه على مُعاينة صورة المسيح الحيِّ القائم من بين الأموات، الذي وهبه حياةً

جديدة، وأعطاه أنْ يحيا فيما بعدُ حياةً، ليست حسب الجسد، بل حسب الروح، وصيَّرته – بالروح القدس – إنسانًا جديدًا شاهدًا لِمَن أحبَّه وفداه.

وبالمثل لنا نحن أيضًا، فإنَّ دحرجة الحَجر تعني إزاحة وسقوط كلِّ صفات الإنسان العتيق، وظلمة الأعمال غير المُثمرة من حياتنا، وزوال عوائق الضعف الروحية التي تمنعنا من مُعاينة مجد القيامة ونورها. حينئذٍ، سوف تتجلَّى فينا وفي سلوكنا كلُّ مظاهر وعلامات واستعلانات القيامة المقدَّسة؛ بأعمال الحُبِّ والرحمة، وبكلِّ سلوكيات أبناء النور، الساعين كأنوارٍ وسفراء للمسيح القائم من بين الأموات، وكشهودٍ لاسمه في حياتهم. ولعلَّ توبة الإنسان، وجهاده وحُبَّه وعطاءه من أجل المسيح الذي فداه؛ لهي أصدق برهان على انفتاح تلك الأبواب المُغلَّقة، واندحار الحَجر الجاثم على قلوبنا وحياتنا، شهادةً لإشراق نور قيامة المسيح واستعلانها في حياتنا الجديدة، بالحُبِّ والإيمان والرجاء وفرح الروح القدس.

"مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ"؟

تكشف الإجابة عن هذا التساؤل عن أمرَيْن هامَّيْن: **الأوَّل:** وجود دور هام للإنسان في رَفْع الحَجر؛ كما يظهر هذا في معجزة إقامة لعازر من الموت، حيث طلب الربُّ يسوع من الجموع أولًا أن يرفعوا الحَجر عن فم القبر، وبعد ذلك أتمَّ معجزته الكبرى بإقامة لعازر حيًّا بقوة كلمته المُحييَّة. **والأمر الثاني**، والذي تردَّد فيه هذا التساؤل: كان على لسان النِّسوة الذاهبات إلى قبر المسيح لتَطييب جَسده، عن كيفيَّة رَفْع الحَجر وإزاحته عن مدخل القبر؛ وذلك لعدم يقينيَّة إيمانهن بإمكانيَّة قيامة الربِّ، أو معونة الملائكة لهُنَّ في رَفْع الحَجر بقوَّة الإله القائم من بين الأموات!

وفي معجزة شفاء الربِّ للمفلوج، الذي أنزله أصحابه من الكُوَّة التي في سقف البيت، أمام الربِّ يسوع، قال له أولًا: «أَيُّهَا الإِنْسَانُ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (لو ٥: ٢٠). فلمَّا تذمَّر الكَتَبَة والفرِّيسيُّون بسبب هذا القول، قال لهم: «... وَلكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: "لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ"» (لو ٥: ٢٤). فمِن هنا يَتَّضح، كما في معجزة إقامة لعازر أيضًا، أنَّ **عمل الشفاء الروحي والجسدي، وحتى إقامة الموتى، هو عمل قوَّة الله المقتدر القويّ ونعمته**، وهو عملٌ إلهيٌّ فائق على البَشَر، وهو منوطٌ بالله وحده. **أمَّا**

رَفْع الحَجر القابع على ضمير الإنسان وقلبه، والذي يرجع لضعف إيمانه بقدرة المسيح على الشفاء والإقامة من بين الأموات وغفران الخطايا؛ **فهذا تعود مسؤوليته على الإنسان وإرادته وإيمانه بالله مُخلِّصه**، وبصدق توبته وجهاده وتمسُّكه بوصايا المسيح ومواعيده الصادقة والأمينة.

فتساؤل النِّسوة عن: مَنْ يُدحرِج لهُنَّ الحَجر؟ يَنمُّ عن ضعف إيمانِهن وبُعدِه عن تصوُّر قيامة المسيح من بين الأموات، حسب سابق وعوده، بل هُنَّ كُنَّ ذاهباتٍ لغرض تطييب جسدٍ ميتٍ!!

ورغم أنَّ الله أرسل ملاكه وأعانهُنَّ برَفْع الحَجر عن فم القبر، وإعلانه لهُنَّ أن الربَّ قد قام، وأنَّه ليس موجودًا في قبر الأموات؛ إلَّا أنَّ ذِهنَهنَّ، وبالأخصِّ مريم المجدليَّة، لم يَتطرق إلى إدراك حقيقة قيامة الرب وتصديقها مباشرة؛ بل ذهب ذهن المجدلية إلى احتمال سرقة الجسد، وحينئذٍ بَكت حزنًا على سرقته، وهي تتحدَّث مع المسيح الذي لم تعرفه، والذي ظنَّته أنَّه البستاني، لضعف إيمانها، وربما كانت تحتاج أن تَتذكَّر كلمات يسوع لمرثا أخت لعازر، عندما تشكَّكت في إمكانية إقامة أخيها من الموت، حيث قال لها: «أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ؟» (يو ١١: ٤٠).

فخُلاصة القول هنا: إنَّ الله هو الذي يُعين ضعفنا، ويُكمِّل لنا اشتياقات قلوبنا، حتى وإن كُنَّا غير قادرين وحدنا على تحريك الحَجر، فهو سيُرسل، حينئذٍ، ملائكته لمعونتنا، وذلك إنْ آمنَّا به واشتقنا لذلك.

فطاقة الحُبِّ تفوق كلَّ قدرات الإنسان الطبيعيَّة. كذلك فإنَّ إرادة توبة الإنسان وجهاده ومحبَّته لله، ومقاومته لكلِّ مُحاربات إبليس، ورفضه لكلِّ سلوكيات الإنسان العتيق بداخله، وإيمانه الراسخ بفاديه ومُخلِّصه الذي يُعينه بنعمته وقوَّة قيامته، مع اجتهاده الدائم في السهر والصلاة والتبكير في طلب فاديه – كما فعلت النِّسوة بالذهاب باكرًا إلى القبر والظلام باقٍ – هذه كلُّها تُعدُّ جهادًا مُباركًا للإنسان في محاولة رَفْع الحَجر.

وهذا كلُّه سَيؤول حتمًا لجَلب كلِّ معونةٍ إلهيَّة لنا، برَفْع أيِّ عائقٍ وفَتْح كلِّ الأبواب المُغلَّقَة أمامنا، لكي تُشرق علينا أنوار قيامة المسيح له المجد.

من التراث الكنسي

معرفة الله
كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة من خلال المسيح[١]
(١٨)

(٦) تفرُّد الرب يسوع (تابع):

سأل موسى الله في العهد القديم أنْ يُعرِّفه اسمه، فأعطاه الله إجابةً مُبْهَمَة: **«أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ I Am who I AM»** "أنا هو مَنْ أنا" (خر ٣: ١٤)، ولكن الغموض المُحاط باسم الله أُزيل فقط في يسوع: **«الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا»**. نحن نسمع يوحنا الرَّسول يقول: **«اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ»** (يو ١: ١٨).

نحن نقرأ في رسالة العبرانيِّين: **«اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ»** (عب ١: ١ – ٢).

الإعلان عن الله، الذي جاء مِن الأنبياء، كان بأنواعٍ متعددة وطُرُقٍ كثيرة؛ فقد أدرك كلُّ نبيٍّ مِن أنبياء العهد القديم جزءًا مِن حقيقة الله وعبَّر عنه، ولم يُدْرِك أيُّ نبيٍّ الحقيقة كاملة؛ ولكن كان الأمر مختلفًا مع الربِّ يسوع، فلم يكن الربُّ يسوع جزءًا مِن الحق، لكنَّه كان – ولا يزال – هو الحقَّ كلَّه. كان الربُّ يسوع هو انعكاسٌ لمجد الله، البهاء السَّاطع لمجد الله (عب ١: ٣)، وعلى حدِّ قول باسكال Pascal:

> **"يسوع المسيح هو غاية كلِّ شيء، والمركز الذي تتَّجه إليه كلُّ الأشياء، ومَن يعرفه يعرف سبب كلِّ شيء".**

«حُبِل بيسوع مِن الرُّوح القُدُس»، ممَّا يعني أنَّ البشريَّة لا يمكنها أنْ تنسب فضلًا منها على الربِّ يسوع. لذلك قال أحد اللاهوتيِّين:

> **"يمكن لثقافتنا أنْ تنتج رجالًا عظماء، لكنَّها لا يمكن أنْ تحسب يسوع**

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:
Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy*.

كواحدٍ منهم، فيسوع (ابن الله المتجسِّد) هو من الله، لم يُحْبَل به منَّا، بل حُبِل به مِن الرُّوح القُدُس".

لم يوجد نبيٌّ حُبِل به مِن الرُّوح القُدُس، ولا أي شخصٍ آخر. الربُّ يسوع هو فقط الذي حُبِل به مِن الرُّوح القُدُس.

يقول القدِّيس بولس الرَّسول: «**لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ**» (في ٢: ٩ – ١١).

كتب د. ت. نايلس D. T. Niles يقول:

"كانت الحياة قبل أنْ يأتي المسيح فترة إعداد لمجيئه؛ والآن بعد أنْ أتى، صارت الحياة فترة انتظار إلى أنْ يأتي مرَّةً أخرى".

يقول بولس الرَّسول:

«**فَإِنَّهُ (يسوع) فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا.**
وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ » (كو ٢: ٩ – ١٠).

حقًّا ما قاله القدِّيس بولس الرَّسول: "**يسوع هو الكلُّ في الكلِّ".**

«**الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَة، فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُل. وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ.**
لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ،
وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» (كو ١: ١٥ – ٢٠).

فكيف يمكن لأيِّ شخص أنْ يعرف الله الواحد الحقيقي بدون الربِّ يسوع؟

(٧) مَن هو الآخَر الذي تُفكِّر فيه؟

كان د. دالاس ويلارد Dr. Dallas Willard أستاذ الفلسفة في جامعة جنوب كاليفورنيا

يتحدَّث إلى مجموعة مِن الأساتذة والطلبة الخرِّيجين فى جامعة ولاية أوهايو Ohio State University، وبعد المحاضرة قال أحد الأساتذة الحاضرين: "أنا متحيِّرٌ، فأنتَ واحدٌ مِن فلاسفة العالم البارزين وأراك تؤمن فى يسوع المسيح أنَّه رجاء العالم"؟

أجابه د. ويلارد بلطف: "مَن آخر غيره كنتَ أنتَ تفكِّر فيه"؟ فظلَّ الأستاذ صامتًا!

يوجد اليوم العديد مِن العظماء الذين يَقْبَلون الرب يسوع كمعلِّم أخلاقي عظيم، ولكن ليس كإله، ولم يُعَبِّر أحدٌ عن مُغالطة مثل هذا الفِكْر مثل سي. إس. لويس C. S. Lewis عندما كتب يقول:

”ما زلتُ أحاول أنْ أمنع النَّاس مِن قول هذا الشيء السَّخيف، والذي هو: "أنا مستعدٌّ لقبول يسوع كمعلِّم أخلاقي، لكنَّنى لا أقبل ادِّعاءه للألوهيَّة". كنتُ أتمنَّى ألَّا يقول النَّاس ذلك. هل يوجد إنسان – وهو مجرَّد إنسان – يقول مثل هذه الأشياء التي قالها يسوع، ويدَّعي أمورًا مثل التي قالها يسوع؟ لن يكون معلِّمًا أخلاقيًّا عظيمًا، بل سيكون مجنونًا على مستوى الإنسان الذي يعتقد في نفسه أنَّه نابليون، وإلَّا فسيكون كاذبًا رهيبًا، سيكون الشَّيطان المُتجسِّد. عليكَ أنْ تختار: إمَّا أنَّ هذا الإنسان كان ولا يزال هو المُخلِّص، ابن الله؛ أو أنَّه إنسانٌ مخبول ومجنون. يمكنك إمَّا أنْ تُسكته بسبب هذه الحماقة، أو أنْ تجثو له على ركبتيك وتدعوه ربًّا، لكن لا تأتي بمحض كلامٍ فارغ عن كونه مُعلِّمًا بشريًّا عظيمًا. إنَّه لم يترك لنا هذا الاختيار مُتاحًا“.

(٨) الربُّ يسوع: هو بداية معرفتنا بالله:

الربُّ يسوع هو نقطة بداية معرفتنا بالله. هو نقطة البداية الحقيقيَّة لكلِّ ما نعرفه عن الله. نقرأ في (يو ١: ١٨): **«اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ»**. لو لم يَرَ أحدٌ الله، فمِن ثمَّ كيف سيعرفه؟ الكلمات التالية في نفس هذه الآية تُجاوب على تساؤلنا: **«اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ»**. لو أنَّنا نعرف الله في الأساس، فهذا يكون فقط بسبب يسوع. قال يسوع: **«اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»** (يو ١٤: ٩).

كَتَبَ القدِّيس إيرينيئوس St. Irenaeus في القرن الثَّاني عن يسوع يقول:

[الآب هو الجوهر غير المنظور للابن، والابن هو الجوهر المنظور للآب].

(٩) يسوع هو المُضادَّة القصوى Ultimate Paradox:

ج. ك. تشيسترتون G. K. Chesterton يُسمِّي الرب يسوع "المضادَّة القصوى غير المحدودة"، فيقول:

> **"مِن ثمَّ، هناك مُضادَّة فى قلب كلِّ حقيقة، المُضادَّة القصوى هي يسوع المسيح. أنْ يأتي الله إلى الأرض كخادمٍ متواضع، فهذا يتعارض تمامًا مع كلِّ ما كان يمكن أن نتوقَّعه. أنْ يتألَّم ويموت ليس أبدًا كما كان مُتَوَقَّعًا. إنَّه كان يجب أنْ يقوم مِن بين الأموات، فهذا أَمْرٌ أكثر مِن رائع. يسوع يأتينا بمفاجأة تلو الأُخرى، فهو يمضي عكس توقُّعاتنا؛ بل إنَّ يسوع هو نفسه المُضادَّة: التحام الأبدي مع الزَّمني، اللامحدود مع المحدود، الخالق مع المخلوق، غير المرئي مع المرئي، الرُّوح مع الجسد، الحياة مع الموت. هنا نلتقي بالله المُتجسِّد، المَلِك الذي هو عبد، الرُّوح الذي هو صخرة، الأسد الذي هو حَمَل: يسوع المسيح "**[٢].

ولهذا، فإنَّ المسيحيَّة هي مضادَّة، وكذلك أيضًا الثَّالوث القدُّوس، وكذلك أيضًا الرب يسوع: الإله المُتجسِّد.

يُخبرنا القدِّيس بولس الرَّسول عن مفارقاتٍ، ومضادَّات مُماثلة فى حياته كرسول، فيقول:

- **«بمجدٍ وهوان، بِصِيتٍ رَدِيءٍ وَصِيتٍ حَسَنٍ. كَمُضِلِّينَ وَنَحْنُ صَادِقُونَ، كَمَجْهُولِينَ وَنَحْنُ مَعْرُوفُونَ، كَمَائِتِينَ وَهَا نَحْنُ نَحْيَا، كَمُؤَدَّبِينَ وَنَحْنُ غَيْرُ مَقْتُولِينَ، كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ، كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ، كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ»** (٢كو ٨: ٦ – ١٠).
- **«مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ، لكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ. مُضْطَهَدِينَ، لكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ»** (٢كو ٤: ٨–٩).

اختبر القدِّيس بولس الرسول التَّرابُط بين الصليب والقيامة، فقال: إنَّنا سُلِّمنا إلى الموت **«لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ»** (٢كو ٤ :١١).

توجد مضادَّة في حياة كلِّ مسيحي عندما يتبع الواحد يسوع، وبحسب كلمات ديل ألكويست Dale Ahlquist:

---

(2) Dale Ahlquist, *Common Sense 101. Lessons From Chesterton.* Ignatius Press. San Francisco. 2008.

”لقد قيل عن الصَّليب إنَّه دائمًا علامة التَّضادّ. إنَّه الأُفقي المُتعارِض مع الرَّأسي. الزَّمني المُتناقض مع الأبدي. إنَّها الخطيَّة المُتناقضة مع الغفران. إنَّه الموت المُتناقض مع الحياة“.

إنَّه مِن المهم أنْ نؤكِّد كمسيحيِّين أرثوذكس نؤمن بأنَّه بالرَّغم مِن أنَّ الله معروفٌ في شخص المسيح، إلَّا أنَّه أبعد بكثير جدًّا ممَّا نرى في المسيح. هذا هو المعروف باللاهوت الفائق التعبير (أو ما يُعرف باللاهوت السلبي) apophatic theology في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، كما يكتب البطريرك برثولماوس Patriarch Bartholomew ويقول:

”النُّقطة الأساسيَّة هي أنَّ الله بالتَّعريف وبالطَّبيعة هو أبعد مِن كلِّ الإدراك والفهم البشريَّيْن؛ وإلَّا ما كان الله هو الله. هذا هو تعليم اللاهوتيِّين المُتعمِّقين في الخبرة الروحيَّة مثل القدِّيس غريغوريوس النيصي في القرن الرابع وغريغوريوس بالماس في القرن الرَّابع عشر. وقد أكَّد كلاهما بالأساس على أنَّ الله ذو تفوُّق مُطْلق radical transcendence، بالإضافة إلى حلوله النِّسْبي relative immanence. الله غير معروف، ومع ذلك فهو معروفٌ بتفكير عميق. الله غير منظور، ومع ذلك يمكن الوصول إليه شخصيًّا. الله بعيد، ومع ذلك فهو قريبٌ وحاضرٌ. وهكذا يصبح الله اللانهائي حقًّا في علاقةٍ حميميَّة مع العالم“(٣).

يقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم St. John Chrysostom:

[مِن خلال اسمه (يسوع)، الموت تلاشى،
الشياطين سُجنوا في قيود،
بوَّابات السماء فُتِحت على مصراعيها،
الرُّوح أُرسل، والعبيد صُيِّروا أبناء،
الغرباء أصبحوا وارثين، البشر صاروا ملائكة (بشرًا سمائيين) ...

الحواجز والحيطان انتُزِعَت، والانقسام انحلَّ،
مَن كان منفصلًا اتَّحد، والظُّلمة طُرِدَت،
النُّور أشرق، والموت ابْتُلِع].

---

(3) Patriarch Bartholomew, *Encountering Mystery: Understanding Orthodox Christianity Today*. Doubleday. NY. 2008.

بحث
تاريخي

أهم أديرة وكنائس
القدِّيس أبي السيفين الأثريَّة في مصر
(٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

٢ – كنيسة ودير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بمصر القديمة (تابع):

تُعتبَر مغارة القدِّيس برسوم العريان من أهم العناصر المعمارية الموجودة في الناحية الشمالية الشرقية لكنيسة القدِّيس الشهيد مرقوريوس أبي السيفين **(الشكل رقم ٥)**. وهي عبارة عن هيكلٍ صغير الحجم ومستطيل الشكل يتمُّ النزول إليه بواسطة عدَّة درجاتٍ من السلالم. ويوجد به مذبح صغير وحنية شرقية. ويُعتَقَد أنَّ القدِّيس برسوم العريان قد عاش لمدَّة أربع عشرة سنة في هذه المغارة ما بين القرنين الثالث عشر الميلادي – الرابع عشر الميلادي، أي أثناء حُكْم السلاطين المماليك في مصر.

(الشكل رقم ٥) مدخل مغارة القدِّيس برسوم العريان في شمال شرق كنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس بمصر القديمة.
تصوير أ. د. / شيرين صادق.

وفي الجانب الشمالي الشرقي لكنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين، يوجد باب يؤدِّي إلى ثلاثة هياكل أخرى للقدِّيسين مار جرجس ويعقوب الفارسي أو المقطَّع ومار بقطر وأبانوب. والأحجبة الخشبية منها ما هو من العصر الفاطمي، ومنها ما يرجع إلى العصر المملوكي، وهي مُطعَّمة بالعاج. وتتكوَّن كلها من عددٍ كبير من الحشوات المُجمَّعة والمُعشَّقة مربعة ومستطيلة الشكل، تظهر عليها أشكال آدمية وصلبان قبطيَّة، بالإضافة إلى زخارف نباتية وهندسية تعكس دقَّة ومهارة الفنان الذي نقشها.

أمَّا دير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين فهو ديرٌ للراهبات **(الشكل رقم ٦)**. ويُعتَقَد أنه بُنِيَ في القرن السابع الميلادي – القرن الثامن الميلادي، ثم تعرَّض للهدم عدَّة مرات. ويتكوَّن الدير الحالي من سورٍ خارجي يُحيط بكلِّ مبانيه المختلفة. ويؤدِّي المدخل الرئيسي للدير إلى مجموعةٍ من الكنائس

(الشكل رقم ٦) منظر داخلي لدير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين للراهبات بمصر القديمة. تصوير أ. د. / شيرين صادق.

الجديدة، بالإضافة إلى بعض المباني الخدمية وسكن الراهبات وحديقة كبيرة. وتُعتَبَر الأُم إيريني من أشهر رئيسات هذا الدير الأثري الهام، وقد تنيَّحت في ٣١ أكتوبر عام ٢٠٠٦م.

٣ – دير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بفيديمين بالفيوم:

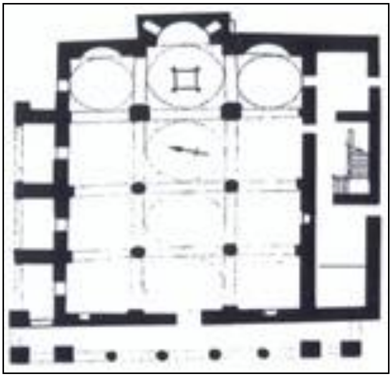

(الشكل رقم ٧) التخطيط المعماري ومنظر خارجي لكنيسة دير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس بفيديمين بمدينة الفيوم. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٣٤.

شُيِّد هذا الدير في فيديمين على بُعْد ما يقرب من اثني عشر كيلومترًا من مدينة الفيوم على الطريق المؤدِّي إلى عين السِّلين وبحيرة قارون **(الشكل رقم ٧)**. وترجع كنيسة دير القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أو أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. وهي من طراز الاثنتي عشرة قبَّة. وفي شمال شرق الكنيسة، يوجد مخبأ لحفظ الأشياء الثمينة والنفيسة. كما توجد سقيفة بأعمدةٍ قبل المدخل. وتتميَّز هياكل الكنيسة بأشكالها نصف الدائرية وأحجامها الكبيرة. وتوجد مجموعةٌ كبيرة من الأيقونات

البديعة وبعض المخطوطات النفيسة، من أهمها مخطوط البصخة المقدَّسة[1].

٤ – كنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بالطيبة بسمالوط:

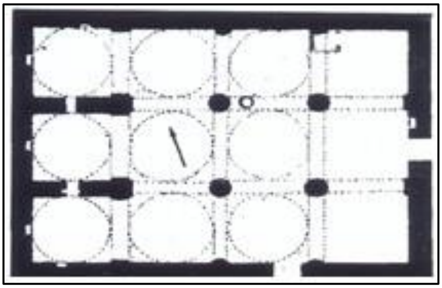

(الشكل رقم ٨) التخطيط المعماري وقباب كنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس بالطيبة غرب سمالوط. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٤٢.

بُنِيَت هذه الكنيسة، ذات التخطيط المعماري المستطيل، في قرية الطيبة على بُعْد تسعة كيلومترات في غرب سمالوط **(الشكل رقم ٨)**. وهي ترجع إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي – أوائل القرن التاسع عشر الميلادي[2]. وهي من طراز الاثنتي عشرة قبَّة. كما تتكوَّن الكنيسة من صحنِ أوسط يكتنفه صحنٌ شمالي وآخر جنوبي، كما إنَّ لها مدخلَيْن: الأول غربي، والثاني في الجنوب. ويوجد بها حوض لقَّان مستدير الشكل في منتصف الصحن الأوسط. وفي كنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين، يوجد كذلك عددٌ محدود من الأيقونات والمخطوطات الأثريَّة النادرة.

٥ – كنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بالجاولي بمنفلوط:

شُيِّدت هذه الكنيسة في الناحية الجنوبية لقرية الجاولي على بُعْد ثمانية كيلومترات على الطريق الداخلي جنوب منفلوط[3] **(الشكل رقم ٩)**. والكنيسة الحالية هي عبارة عن مبنى حديث النَّشأة، عُثِر حوله على بقايا تيجان وأعمدة الكنيسة الأثريَّة الأصليَّة التي كانت مبنية في ذات المكان. وقد أشار المؤرِّخ المملوكي تقي الدين المقريزي

(الشكل رقم ٩) التخطيط المعماري وقباب كنيسة القدِّيس مرقوريوس أبي السيفين بالجاولي بمنفلوط. نقلًا عن الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٤٢.

---

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٤ – ١٢٥.

(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٤٢.

(٣) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٤.

في القرن الخامس عشر الميلادي، إلى كنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بالجاولي بمنفلوط. كما ذَكَرها الرحَّالة فانسليب سنة ١٦٧٢م.

٦ – كنيسة القدِّيس الشهيد مرقوريوس أبي السيفين بأخميم:

سبقت الإشارة بالتفصيل إلى هذه الكنيسة الهامة في مقالتنا المنشورة عن أهم الأديرة والكنائس القبطيَّة في مدينة أخميم التاريخيَّة التى استُشهد بها عددٌ كبير من أقباط مصر في سبيل نصرة عقيدتهم[٤].

٧ – كنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بصوص بنقادة:

بُنِيَت هذه الكنيسة في قرية صوص الواقعة في جنوب نقادة وفي الناحية الشرقية للطريق المؤدِّي إلى غرب مدينة الأقصر **(الشكل رقم ١٠)**. ويتكوَّن مبنى الكنيسة الحديث من الصحن الذي يتوسطه أربعة أكتاف يعلوها سقف مسطَّح. وفي الركن الجنوبي الغربي، كان يوجد مغطس في هذا الصحن الذي ينتهي بثلاثة هياكل شرقية وحجرة جنوبية جانبية. وحائط الهيكل الرئيسي الأوسط نصف دائري وبه ثلاث حنيات. وفي الناحية الغربية، يوجد خورس مخصَّص للسيِّدات وله باب في الحائط الشمالي بالقرب من المدخل الرئيسي للكنيسة. وفي الركن الشمالي الغربي، يوجد سُلَّم يؤدِّي إلى الطابق العلوي، وأسفله توجد معمودية الكنيسة.

(الشكل رقم ١٠) منظر خارجي لكنيسة القدِّيس مرقوريوس أبي السيفين بصوص بنقادة. نقلًا عن الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٩٩.

٨ – دير كنيسة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بقوص:

يُعرَف هذا الدير أيضًا باسم: "دير القدِّيس مار بقطر". وهو الدير الوحيد الذي

---

(٤) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٣؛ شيرين صادق الجندي، "أديرة وكنائس أخميم الأثريَّة"، الجزء (١)، "مجلة مرقس"، العدد (٦٤٤)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (مايو ٢٠٢٣)، ص ٣٩ – ٤٢؛ الجزء (٢)، العدد (٦٤٦)، (سبتمبر ٢٠٢٣)، ص ٤٦ – ٥٠؛ الجزء (٣)، العدد (٦٤٧)، (أكتوبر ٢٠٢٣)، ص ٣٨–٤٢.

ما زالت بقاياه موجودة على بُعْد سبعة أميال في جنوب شرق بلدة قوص بصعيد مصر. ويُحيط به سور وبداخله جبَّانة مسيحيَّة. وبه كنيسة مركزية للقدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين، وبها ثلاثة مذابح: واحدٌ للقدِّيس مار بقطر، وآخر للقدِّيس باخوميوس، والثالث للقدِّيس المُكرسة على اسمه الكنيسة الرئيسية(٥).

الخاتمة:

مِمَّا سبق، يتَّضح كثرة الأديرة والكنائس المُكرَّسة للقدِّيس الشهيد مرقوريوس أبي السيفين في مصر، فمنها ما هو أثرى ومنها ما هو حديث. وتختلف مساحة كلٍّ مبنى وطُرُزه المعمارية والفنية من عصرٍ إلى آخر. كما اختلفت المُكتشفات الأثريَّة والفنية من ديرٍ لآخر ومن كنيسةٍ لأخرى، ربما لاختلاف المعماريين الذين شيَّدوها والفنانين الذين زخرفوها. ولكن تظل كلها شاهدة على أهمية سيرة القدِّيس الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين. كما إنها دليلٌ على تنوُّع الموروث الثقافي القبطي على مرِّ العصور التاريخيَّة المختلفة، وخير برهان على مهارة ودقَّة وإبداع وخبرة المعماريين والفنانين الأقباط الذين شيَّدوها وتفنَّنوا في تنفيذ أساليبها المعماريَّة والفنيَّة البديعة.

(5) *Mémoires sur l'Égypte publiées pendant les campagnes du général Bonaparte*, 4 vols., Paris, 1800–1803; G.W. Murray, "The Roman Roads and Stations in the Eastern Desert", *Journal of Egyptian Archeology* 2, (1925), p. 146;

عبد المسيح صليب المسعودى البراموسى، "كتاب تحفة السائلين في ذِكْر أديرة رهبان المصريين"، القاهرة، ١٩٣٢، ص ١٧٩؛

Otto F.A. Meinardus, *Christian Egypt. Ancient and Modern*, Cairo, 1960, 306–307; 2nd ed., Cairo, 1977, p. 420; J.C. Garcin, *Un centre musulman de la Haute–Égypte médiévale, Qus. Textes arabes et études islamiques* 6, Le Caire, 1976, pp. 6, 208; R.G. Coquin & Maurice Martin, S.J. "Dayr Abu Sayfayn (Qus)", *CoptEnc*. vol.3, New York, (ed.) Aziz S. Attia, New York, 1991, 711a – 711b.

المسيحيُّون العرب

سيرة ومسيرة[١]

عماد توماس[٢]

المسيحيُّون العرب هم جزءٌ أساسي من تاريخ الحضارة العربيَّة، ومُكوِّن رئيسي في ذاكرة الأُمة. فطوبى للأُمة التي تُقدِّر رجالها وعُظماءها، وتُخلِّد ذِكراهم، وتعترف بأفضالهم.

هذا الكتاب يُسلِّط الضوء على سيرة ومسيرة عدد من المسيحيين العرب، وكيف ساهموا في بناء الحضارة العربية، بل والحضارة الإنسانيَّة. وفي تقديمنا لهذا الكتاب سنُقدِّم شخصيات قبطيَّة ساهمت في نقل التُّراث المسيحي إلى اللُّغة العربيَّة.

١ـ الأنبا ساويرس ابن المُقفَّع أسقف الأشمونين
أوَّل كاتب قبطي يؤلِّف بالعربية

الأنبا ساويرس ابن المقفَّع (٩١٥ – ١٠٠٠م)، هو واحدٌ من أعاظم الرجال الذين أنجبتهم الكنيسة القبطيَّة في القرن العاشر الميلادي. وعندما كان علمانيًّا كان اسمه: "أبا بِشْر ابن المُقفَّع"، وأيضًا "الكاتب المصري القبطي". وترجع أهمية هذا المُعلِّم إلى أنَّه عاش في عصرٍ قريب نسبيًّا من مصادر التعليم المُدوَّن باللُّغة القبطية، حيث لم تكن تلك المصادر قد تعرَّضت للضياع بعد.

وجَمَعَ ساويرس في علمه بين العلوم الدينيَّة والدُّنيويَّة، كما يتَّضح من حياته ومؤلَّفاته، كذلك معرفته بالفلسفة اليونانيَّة والعربيَّة وعِلْم الكلام. تدرَّج في الوظائف حتى أصبح كاتبًا (سكرتيرًا) ماهرًا في أيام الدولة الإخشيديَّة، وعاصر الدولة الفاطميَّة. وكانت رُتبة الكاتب آنذاك رُتبةً مهمة في الدولة، ومن شروطها أنْ يكون صاحبها مُتضلِّعًا في اللُّغة العربيَّة، مُلِمًّا بعلومها وآدابها.

وبعد أنْ وصل أبو البِشْر إلى أعلى المناصب، ترك مجد العالم، وتخلَّى عن وظيفته، وذهب إلى البريَّة ليترهَّب. وهناك استفاد من فترة رهبنته، واهتم بدراسة الإنجيل وآباء الكنيسة الأوائل.

---

(١) الكتاب يتكوَّن من ١٩٠ صفحة، الطبعة الأولى: ٢٠٢٠. والإهداء: **إلى قارورة الطِّيب التي انكسرت، ففاحت رائحتها، إلى روح الأسقف الشهيد الأنبا إبيفانيوس، رئيس دير الأنبا مقار بوادي النطرون.**

(٢) المؤلِّف هو باحث في التراث العربي المسيحي، ومُحاضِر في عددٍ من كُليات اللاهوت بمصر.

التحوُّل إلى اللُّغة العربية:

كانت اللُّغة القبطية قد بدأت تندثر رويدًا رويدًا في مصر منذ قرار عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين. وصار على الأقباط التحوُّل إلى اللُّغة العربيَّة الجديدة. وقد تعلَّم أبو البِشْر اللُّغة العربيَّة، وألَّف بها كُتُبًا. وأخذ يُترجم التراث المسيحي من اليونانيَّة والقبطيَّة إلى العربيَّة.

اختياره أسقفًا:

ولمَّا كان أبو بِشْر ذا عِلْمٍ وفضل، فقد ذاع صيته بين المسيحيين، فاختاره أراخنة الشعب والبطريرك (يُعتقد أنَّه الأنبا مقار البطريرك التاسع والخمسون "٩٣٢ – ٩٥٢م") ليُرسَم أسقفًا على مدينة الأشمونين (ملوي)، وعُرِف باسم "ساويرس". وظلَّ في درجة الأسقفيَّة اثنين وثلاثين سنة.

مُناظراته:

عاش الأنبا ساويرس في زمن المُعزِّ لدين الله الفاطمي، والذي كان رَجُل عِلْم وأدب ودراسة. وكان مجلسه يضمُّ أهل العِلْم ويدعوهم للمُناظرة أمامه، مُعطيًا الأمان ليقولوا ما يعتقدونه. وكان البابا أبرآم ابن زرعة يحضر لمجلسه. ولمَّا كان ساويرس من أصدقاء البابا، وأكبر عالِم في الكنيسة آنذاك، فكان كثيرًا ما يتردَّد على ديوان الملك مع البابا. وكان المُعزُّ يدعوه للمُناظرة مع أئمة المسلمين واليهود.

مؤلَّفاته:

يُعتبَر الأنبا ساويرس أبا التاريخ الكنسي القبطي، إذ أدرك الرجل برجاحة عقله ونفاذ بصيرته، أنَّ تاريخ بطاركة الكرسي المُرقسي مُبعثرٌ وعُرضة للضياع، فأوقف جزءًا كبيرًا في حياته على جمع شتات هذا التاريخ من مختلف الأديرة. وقد أنجز كتابه وهو في الثمانين من عمره. وأرَّخ سِيَر الآباء البطاركة من الكاروز مار مرقس حتى أنبا شنودة الخامس والخمسين في عِداد البطاركة.

كذلك لساويرس مؤلَّفات عديدة. وقد تنوَّعت وتعدَّدت هذه المؤلَّفات. ذَكَرَ أحدهم أنها تزيد عن العشرين كتابًا. ولعلَّ أشهرها هو كتاب: "الدُّر الثمين في إيضاح الدِّين". في هذا الكتاب الثمين يُوضِّح أدقَّ وأصعب المُعتقدات المسيحية في سهولةٍ ويُسر ودقَّة بالغة، وبأسلوبٍ جذَّاب يُناسب كلَّ المدارك، مثل: التثليث والتوحيد، التجسُّد والفداء، فضل يوم الأحد، صوم يومَي الأربعاء والجمعة، إثبات العقيدة الأرثوذكسيَّة، تفسير تسبحة موسى، تسبحة الثلاثة فتية ... إلخ.

كان الأنبا ساويرس واعظًا قدِّيسًا مقتدرًا، وموبِّخًا رحيمًا، فقد وَضَعَ مُصنَّفاته العديدة لإنارة شعبه بقواعد الإيمان، مُشفقًا عليهم، كأبٍ رحيم، من هلاكٍ أبدي. نراه في كلِّ مقالٍ يستحثُّ المؤمنين لخلاص نفوسهم، ولا يكُفُّ عن تذكيرهم بالمُلْك العظيم المُعدِّ لهم.

٢ – أولاد العسَّال

في خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، قامت بين الأقباط نهضةٌ فكريَّة ودينيَّة كبيرة. وبرز في هذه النهضة ثلاثة إخوة هم "أولاد العسَّال"(٣)، كانوا أبناء أسرة قبطيَّة من "سدمنت" بالفيوم. كانوا محور النهضة في أَوْج الازدهار الأدبي للأقباط في هذه الفترة. اشتغلوا بالعِلْم والأدب والتشريع، وشغلوا مناصب هامة في الدولتين الأيوبيَّة والمملوكيَّة. وكانوا مُقرَّبين من الدولة ومن الكنيسة. ورأسُ هذه الأسرة اسمه "فخر الدولة أبو المفضل أسعد"، وكان من الطبقة العُليا ومن أثرياء الأقباط. وقد أنجب ثلاثة إخوة دعوا بـ "أولاد العسَّال" (الأسعد أبو الفرج هبة الله بن العسَّال، مؤتَمَن الدولة أبو إسحق بن العسَّال، الصَّفي أبو الفضائل بن العسَّال). كانوا بالحقيقة فخر المسيحيَّة العربيَّة. فلقد اعتنوا بالكتابات الأدبيَّة الكنسيَّة، ولم يدعوا مجالًا لاهوتيًّا إلَّا وطرقوه. ونحن لا نعرف الكثير عن حياتهم الشخصيَّة إلَّا من خلال كتاباتهم ومؤلَّفاتهم.

سنذكُر في عُجالةٍ بعضًا مِنْ أهم مؤلَّفات هؤلاء العلماء الأقباط الأفذاذ والتي بَقِيَت محفوظة حتى يومنا هذا:

١ – **الأسعد بن العسَّال:** قام بترجمة الأناجيل الأربعة عن القبطية ومقابلتها على السريانية واليونانية (وإن كان البعض يُرجِّح أنَّه تنقيحٌ فقط). كان ضليعًا في نحو اللُّغة القبطيَّة فكتب: "قواعد اللُّغة القبطية"، يشرح قواعدها، في عصرٍ كادت أن تضمحل فيه هذه اللُّغة تمامًا. كذلك له: "أرجوزة في الميراث"، وهو عن قوانين الوراثة في الكنيسة القبطية، كتبها في قالبٍ شعري.

٢ – **مؤتمن الدولة بن العسَّال:** وهو من أكبر مُفكِّري الكنيسة القبطيَّة، والوحيد بين إخوته الذي التزم الكهنوت. امتاز بنُسكه وحبِّه للعبادة مع الدراسة والمعرفة. له العديد من المؤلَّفات في اللُّغة والفلسفة واللاهوت وشَرْح أسفار الكتاب المقدَّس والليتورجيَّة. وأهم كتبه: "السُّلَّم المُقفَّى والذهب المُصفَّى"، وهو عبارة عن قاموس قبطي عربي مُرتَّب أبجديًا. أمَّا كتابه الأشهر فهو: "مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين". وهو كتابٌ موسوعي يحتوي على أقسام تتعلَّق بالعقيدة والقانون والكتاب المقدَّس وعِلم الأخلاق، كذلك على برهان صحة الديانة المسيحيَّة.

٣ – **الصَّفي بن العسَّال:** هو أشهر إخوته الثلاثة. له الكثير من المؤلَّفات وهي تتنوَّع بين العلوم القانونيَّة والموضوعات الاجتماعيَّة. ويتميَّز أسلوبه بالسهولة والسلاسة والدقَّة والإيجاز. وهو يشتهر بكتاب: "المجموع الصفوي" أو "مجموعة القوانين (النومو كانون)". كذلك كتاب: "الصحائح في الردِّ على النَّصائح"، وهو يردُّ على أحدهم الذي ترك الإيمان المسيحي.

---

(٣) يستمدُّ رأس هذه الأسرة اسمه من كلمة "عسل"، والعسَّال قد يُشير إلى صاحب مصنع عسل أو مِن المُتاجرين فيه.

- سلسلة فيلم The Chosen "المُختار"، تُترجم إلى ٦٠٠ لغة.
- الإفراج عن قسٍّ أمريكي بعد قضاء حوالي عشرين عامًا في السجون الصينية.
- قرية في فيتنام تُقلِع عن الإدمان بعد إيمانها بالمسيح.
- محاولة محو الكنيسة الأرمينية في ناجورنو كاراباخ ("أرتساخ" باللغة الأرمينية).

سلسلة فيلم The Chosen "المُختار"، تُترجم إلى ٦٠٠ لغة:

يذكُر Stan Jantz رئيس منظمة CEO لترجمة الإنجيل، أنَّ هذا العمل هو أكثر عمل تمَّت ترجمته في العالم بعد الكتاب المقدَّس. فكلُّ لسان وكلُّ قبيلة وكلُّ شعب وكلُّ أُمَّة لا بد أن تعرف الأخبار السَّارة. فيوجد الآن ٦٠٠٠ لغة حول الأرض. وفي عام ٢٠٢٣م كانت الأغلبية يمتلكون نُسخة من الإنجيل، و٩٥٪ عندهم كل الكتاب. رئيس مدغشقر، وهو مسيحي مؤمن، قد شاهد السلسلة، وتعهَّد بعرضها على شعب مدغشقر الفقير في كلِّ مكانٍ هناك. وهذا ما تمَّ بالفعل؛ إذ تمَّ عرضه في السجون ودور رعاية الأيتام والقرى والتليفزيون الحكومي والأماكن العامة. ونتيجة لذلك، عمَّت الفرحة والاحتفالات عموم الشعب. لقد اجتهد واضعو نصِّ العمل قراءة ما بين سطور الكتاب المقدَّس لتصوير خدمة الربِّ يسوع من خلال عيون المُحيطين به. وقد أُذيعت هذه السلسلة في أكثر من ٥٠٠ مليون بثّ تليفزيوني، وشاهدها أكثر من ١٠٨ مليون شخص حتى الآن.

(عن: CBN)

الإفراج عن قسٍّ أمريكي بعد قضاء حوالي عشرين عامًا في السجون الصينية:

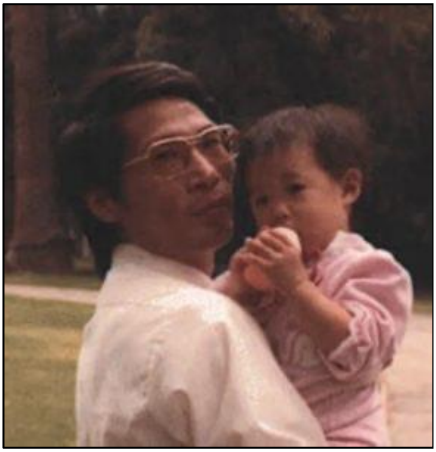

القس David Lin ٦٨ عامًا، قد أُطلِقَ سراحه حُرًّا بعد حوالي عشرين سنة في السجون الصينية. وكان دافيد مُعتادًا على السَّفَر إلى الصين منذ عام ١٩٩٠م، وذلك لنشر وتوزيـع الكتاب المقدَّس.

وفي عام ٢٠٠٦م، وأثناء قيامه بعمل دورة في بكين للتعريف بالإنجيل، قُبِضَ عليه بتهمة القيام بعملٍ تبشيري غير مُصرَّح به، وذلك بالمُخالفة للقانون الصيني الذي يقضي بوجوب أن تلتزم الكنائس جميعًا بالولاء للحزب الشيوعي الحاكم.

وهكذا، رغم إنكاره للذنب، حُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة ظُلمًا عام ٢٠٠٩م. وهذا هو الحُكْم المُعتاد لأيِّ راعي كنيسة يُخالف القانون. ولا يزال كثيرٌ من الأمريكيين رهن الاعتقال، والبعض منهم محكومٌ عليه بالإعدام.

(عن: CNE)

قرية في فيتنام تُقلِع عن الإدمان بعد إيمانها بالمسيح:

يصف القس Hang A Xa الوضع في القرية الفيتنامية أنها كلها تقريبًا كانت تُدمِن الأفيون، وكانت تبيعه مثلما تبيع الدجاج. ولأن الجميع كانوا مُدمنين، فلم يَعُد أحدٌ يعمل أيَّ شيء إطلاقًا. فلا طعام، ولا منتجات، ولا تجارة، فقط توجد بعض الحشائش والنباتات من الغابة.

كان الجميع، بمَنْ فيهم والد القس نفسه، مدمنين. وهو أيضًا (أي والد القس) كان في نفس الوقت عُمدة القرية. ولذا فقد وفَّرت الحكومة لوالد القس جهاز راديو ليعرف الأخبار السياسية. ولأنه كان أُمِّيًا فلا يعرف اللغة الفيتنامية الرسمية، ولكن يعرف فقط اللغة المحلية؛ لذلك فقد كان يستمع للبرامج الدينية التبشيرية بلهجته المحلية. وهكذا أصبح أول مؤمن بالمسيح بسبب سماعه الإنجيل، وسعى لجعل كلِّ العائلة تُشاركه الإيمان، مبتدأً بأخي القس، وهكذا ثم باقي العائلة.

لقد كانت القوانين الفيتنامية تمنع المسيحية، ولذا فقد قبضت عليه السلطات. أمَّا هو فقد حَسِبَ نفسه غير مستأهل لمُقابلة الربِّ يسوع بهذه السرعة كشهيد، إلَّا أنه خاب ظنُّه، وأطلقوا سراحه دون سبب.

لقد كان هناك إنجيلٌ واحد يمرُّ على القرية كلِّها، وها هم الآن قد تركوا طريق الإدمان ليتبعوا طريق الربِّ يسوع. وبدلًا من الأفيون، ازدهرت زراعة الزهور التي رفعت من دخول أهل القرية، وسبغت الجميع بالرفاهية والفرح.

(عن: CBN)

محاولة محو الكنيسة الأرمينية في ناجورنو كاراباخ (”أرتساخ“ باللغة الأرمينية):

قامت سلطات دولة أذربيجان بهدم كنيسة Surb Hambardzum، وأقامت مسجدًا بدلًا منها. ذلك أنه بعد هزيمة الأرمن في سبتمبر ٢٠٢٣م، هاجر حوالي ١٢٠,٠٠٠ أرمني من المنطقة إلى أرمينيا. وأرمينيا – كما هو معلوم – هي من أقدم الدول المسيحية في العالم، حتى قبل الدولة الرومانية؛ إذ إنها تسبق روما في الإيمان، وقد بشَّرها كلٌّ من الرسولَيْن برثولماوس وتدَّاوس، ولا زال قبرهما في أرمينيا شهادةً لهما. وتمتلئ أرمينيا بالكنائس والأديرة، وأكثرها دمَّرها الآذاريون في الحرب. لقد قاموا بمحو تاريخ أُمَّة بأكملها.

ويذكر التاريخ أنَّ أول أسقف بشَّر هولندا هو Servatius الأرمني. ولذا فأرمينيا جزءٌ لا يتجزَّأ من أوروبا تاريخيًّا وحضاريًّا، وتُقاوم كلٌّ من إيران وروسيا هذا التوجُّه. ولأجل هذا فقد دمَّرت أذربيجان كلَّ الكنائس في ”أرتساخ“ ذات الطابع التاريخي، وكذلك القبور،

وعذَّبوا المسيحيين بفظاعة. وأقاموا محطة تليفزيون تُذيع البرامج الوثائقية التي تدَّعي أنَّ المنطقة أساسًا مِلْكٌ لهم، بهدف إقناع الناس بأصولها التاريخية، وتحويل الكنائس إلى مساجد، وأهمها كاتدرائية "المسيح المُخلِّص".

كما غيَّرت اسم العاصمة إلى اسم آذاري، وتمَّ تغيير أسماء المناطق والشوارع والاستاد على أسماء تركية، وبالأخص القادة الأتراك الذين اقترفوا المذابح بحقِّ الأرمن سنة ١٩١٥م.

(عن CNE)

****

دير القدِّيس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القدِّيس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

Father Matta El-Meskeen

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

Let us continue with Father Matta's search for new thoughts in the Gospel of St John, adding to the previous issues. Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 52

"And now, O Father, glorify Me together with Yourself, with the glory which I had with You before the world was" (John 17:5).

CHRIST is not asking for a new state for Himself, rather this was His state with the glory which He had before the inception of the world. From the critical mysteries of Christ was what came incidentally in the Bible, that Christ suffered many times after the world was made. How and why, the Book has concealed its meaning and interpretation. But maybe, according to the abjectness of our knowledge, the fate of Christ was the same as the fate of man. When the world was created, and man in the world, before the cross, was transgressing against God, this used to hurt Christ, with agony following another, numerous times, as many times as the sins of man and His wandering away from God. Until Christ came down, being sent by the Father, to carry the sentence of man before God. And it seems that the glory of Christ that He had before the world was, man had ill-treated with his transgressions and blasphemies against God. Though God was being patient with him for the sake of Christ, until the time came and the hour of salvation arrived and God sent His Son to the world.

"He then would have had to suffer often since the foundation of the world; but now, once at the end of the ages, He has appeared to put away sin by the sacrifice of Himself."[1] Thus, Christ now, after He has fulfilled

[1] Hebrews 9:26.

the sacrifice of Himself to carry all of the sins of man once upon the cross, would have fulfilled all of God's purpose and work which He asked the Son to do, and so He did. After He fulfilled it, He pleaded with the Father to return to Him the full glory which He had from the foundation of the world.

Here is the end of Christ's sufferings through the fulfillment of every work of God. By this, He seeks the glory that was His before the foundation of the world!!! The sufferings of Christ are not dear to the Father only, but they are also our life, pride and glory. If it were not for Christ's passion our sins would not have been forgiven, and we would not have been worthy to appear before the Father "holy and without blame … in [the] love"[2] of Christ. Moreover it would not have been possible for us to attain adoption,[3] neither would the great and glorious promises of God be fulfilled.[4] For the sufferings of Christ are truly our glory and the entitlement of our entry to His kingdom.

For Christ to resolve before the Father that "I have finished the work which You have given Me to do", is the ultimate finale of the greatness of salvation that was fulfilled, and the ransom which was able to unravel the wrath of God. For on the day that Christ fulfilled the work of God for us, the case for our salvation and forgiveness of our sins was also fulfilled. We were reconciled with the Father, we became worthy "to enter the Holiest by the blood of Jesus [Christ]",[5] to find for ourselves immortal, "eternal redemption"[6] before the Father.

Thus, the work of the Father, which He appointed to the Son, is our work and is for us. Through it we passed from death to life, and inherited the glory of the Son stored for Him in heaven, and the gates of eternal life were opened before us without question, certificates, or the help of any other guarantor. Rather we are met over there as chosen children of God, who Christ pledged with His life, and who won the love of the Father and His mercy.

December 28, 2005

---

[2] Ephesians 1:4.
[3] Ephesians 1:5.
[4] 2 Peter 1:4.
[5] Hebrews 10:19.
[6] Hebrews 9:12.

Chapter 53

"For the Father Himself loves you, because you have loved Me, and have believed that I came forth from God" (John 16:27).

CHRIST'S final prayer was a plea to the Father to love us just as the Father loved Him.[1] Here, Christ confirms to us that we became beloved to the Father: "Blessed be the God and Father of our Lord Jesus Christ, who has blessed us with every spiritual blessing in the heavenly places in Christ, just as He chose us in Him before the foundation of the world, that we should be holy and without blame before Him in love, having predestined us to adoption as sons by Jesus Christ to Himself, according to the good pleasure of His will, to the praise of the glory of His grace, by which He made us accepted in the Beloved."[2]

St Paul reveals to us here the mystery of the Father's love to us, that it is because of our love to His Son Jesus Christ, and our faith that God the Father has sent Him to us to save us, redeem us and restore us to our first status. By that, Christ joined for us our love for the Father and our love for Jesus Christ. Through the fulfillment of our love for the Father and the Son, we became eligible for the inheritance of Christ in the Father, where everlasting life is revealed now and is open for us at the end of our pilgrimage on earth, and at the coming of Christ to take us to the Father.

The love of the Father is the ultimate satisfaction of the Father for us. This is so especially after a discordance that lasted over all of the past ages, which man had spent estranged from God and from His love, shedding tears without measure, moaning from the devil's slavery and the evil world's scorn. Now, however, with Christ's coming and the fulfillment of our reconciliation with the Father through the atoning sacrifice of Christ on the cross, the Father began receiving us when we go to Him to wipe away the tears from our eyes, flood us with His love and pleasure, and receive the chosen of us with the "members of the household of God."[3]

We now love and are loved by the Father and the Son, by which we became worthy to be sons of the kingdom of the Father and the Son, where we become true partners with Christ and the Father, inheriting the inheritance of Christ in the Father. From now on, we rejoice with our heavenly share that is ineffable, even

---

[1] John 17:26.
[2] Ephesians 1:3-6.
[3] Ephesians 2:19.

though we must be grieved for a little while for our patience and endurance to be tested,[4] so that if we succeed at enduring the sadness and trials of life because of the name of Christ, we would be made worthy for the saying, “Enter into the joy of your Lord.”[5] Inasmuch as the sufferings of this age, and life’s trials in His name in the midst of a crooked and perverse generation,[6] God the Father will have had prepared for us the “good part, which will not be taken away from” us.[7]

The love of the Father proclaims a life of glory that is incomparable, for it is as Christ said, “all things have been delivered to Me,”[8] all that is in heaven and on earth. Of all that, the beloved of Christ will be a partaker, just as in His sufferings, so in His glory. To the extent that, out of the greatness of Christ’s love for us, which is a pure and strong love from a heart that is compassionate, a thousand fold more than a mother’s heart toward her nursing baby. He asked the Father in His last prayer to bring us to His kingdom with Christ, to behold His glory which God has given Him.[9] These are feelings of a Brother and a Beloved to a loved one.

In such manner has Christ bound us with His love, gentleness and compassion. Not only on earth but also in what He has prepared for us in heaven, that we may become the dearest of God’s creation, and the children of the love of the Father and the Son, being caressed as a nursing child on his mother’s breast. Thus, He will recompense us for the cruelty of this age in which we live estranged from our heavenly home. He will give us abundantly from His gentleness so that we forget the days of estrangement, dryness and alienation from Him who loves us. In those days we were tormented and humiliated under the oppression of time and trials, and the hatred of the world and the children of the world. Those made us forget that we have a compassionate bosom in heaven which waits for us to overflow us with His compassion, and recompense us for the years that the locust has eaten, in which we became bare before our enemy and fell short of the glory of God.

December 28, 2005

---

[4] See 1 Peter 1:6.
[5] Matthew 25:23.
[6] Philippians 2:15.
[7] Luke 10:42.
[8] Luke 10:22.
[9] John 17:24.

Origen of Alexandria

Let us beware lest we crown Jesus with our thorns

The sins committed against Jesus are a part of the gospel for the accusation of those who have committed them (…) The mockery of those who crowned him with thorns, and the things like these have been included in the Gospels. Consequently, we should understand that everyone who betrays Jesus' disciples has been reckoned a betrayer of Jesus. Therefore, [he said] to Saul while he was still a persecutor, "Saul, Saul, why do you persecute me?" And, "I am Jesus whom you are persecuting." But who are those who have the thorns with which they crown Jesus to dishonor him? Those who have received the Word of God and "yield no fruit," because they are choked "by the cares and riches and pleasures of life." For this reason we must beware lest perhaps we too, as though crowning Jesus with our own thorns, be recorded to be like these and be read about by all spiritual or holy persons, who learn the Jesus who is in and with all, how he is anointed with ointment, entertained, and glorified, or, on the contrary, how he is dishonored, mocked, and beaten.

Comm. on John, tr. Ronald Heine (slighty modified according to the Greek),
FC 80, p. 48.

****

ἐκ τοῦ Ὠριγένους

Μέρος ἐστὶ τοῦ εὐαγγελίου εἰς κατηγορίαν τῶν πραξάντων τὰ εἰς Ἰησοῦν ἁμαρτανόμενα (…) Οἱ ἐμπαιγμοὶ τῶν αὐτὸν τῇ ἀκάνθῃ στεφανωσάντων καὶ τὰ τούτοις παραπλήσια ἐγκατατέτακται τοῖς εὐαγγελίοις. Ἀκόλουθον δὲ τούτοις ἐστὶ νοῆσαι ὅτι πᾶς ὁ τῶν Ἰησοῦ προδότης Ἰησοῦ προδότης εἶναι λελόγισται. Πρὸς γοῦν τὸν ἔτι διώκοντα Σαῦλον <εἶπεν>· "Σαούλ, Σαούλ, τί με διώκεις"; καὶ "Ἐγώ εἰμι Ἰησοῦς, ὃν σὺ διώκεις". Τίνες δὲ τὰς ἀκάνθας ἔχουσιν, αἷς τὸν Ἰησοῦν ἀτιμάζοντες στεφανοῦσιν; Οἳ "ὑπὸ μεριμνῶν καὶ πλούτου καὶ ἡδονῶν τοῦ βίου" συμπνιγόμενοι λαβόντες τὸν λόγον τοῦ θεοῦ "οὐ τελεσφοροῦσιν". Διόπερ φυλακτέον μήποτε καὶ ἡμεῖς, ὡς ταῖς ἰδίαις ἀκάνθαις στεφανοῦντες τὸν Ἰησοῦν, ἀναγραφόμενοι τοιοῦτοι ἀναγινωσκώμεθα παρὰ τοῖς τὸν ἐν πᾶσι καὶ παρὰ πᾶσι λογικοῖς ἢ ἁγίοις Ἰησοῦν μανθάνουσι, τίνα τε τρόπον μύρῳ ἀλείφεται καὶ δειπνίζεται καὶ δοξάζεται ἢ ἐκ τῶν ἐναντίων ἀτιμάζεται καὶ ἐμπαίζεται καὶ τύπτεται.

SC 120, p. 95-97.

St. Mark *Monthly Review*

Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.

ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 110.00

Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.

No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2025 by the Monastery of St. Macarius the Great.

Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382

VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG